شِعْرُ نُصَيب بْنِ رَبَاحٍ فِي البِلاطِ المَرْوَانِي
(دِرَاسَةٌ تَحْلِيلِيَّةٌ نَقْدِيَّةٌ)

إعـــداد

د/ وَلِيْد تَيْمَة العُبَيْد

أُسْتَاذُ الأَدَبِ وَالنَّقْدِ المُسَاعِدُ

بِجَامِعَةُ الخُرْطُومِ بِالسُّودَانِ

و جَامِعَةُ تَبُوكَ بِالمَمْلَكَةِ العَرَبِيَّةِ السُّعُودِيَّةِ

المقدمة:

لَقَدْ كَانَتْ ظَاهِرَةُ الشِّعْرِ الْبَلَاطِي منْ قَدِيمِ الزَّمَانِ عِنْدَ الْعَرَبِ؛ فَقَدْ كَانُوا يَؤُمُّونَ بَلَاطَ الْمُلُوكِ والْأُمَرَاءِ طَلَبَاً للرِّفْدِ، وَعَطَايَا الْمُلُوكِ، وَقَدْ سَلَكَ نَهْجَهُمْ شَاعِرُنَا النُّوبِيُّ نُصَيبُ بْنُ رَبَاحٍ، إلَّا أَنَّ الْهَدَفَ قَد اخْتَلَفَ عَنْ أَهْدَافِ سَابِقِيهِ، حَيْثُ إِنَّهُ عِنْدَمَا طَرَقَ بَابَ الولاةِ أَوَّلَ أَمْرِهِ كَانَ طَالِباً لِلعِتْقِ؛ إِذْ إِنَّهُ كَانَ رَقِيقَاً، ثُمَّ بَعْدَ أَنْ أَعْتَقَهُ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مَرْوَانَ صَارَ يَطْرُقُ بَابَهُ كُلَّ عَامٍ فَيُجْزِلُ لَهُ الْعَطَاءَ، وَكَانَ عَبْدُ الْعَزِيزِ يُعَاتِبُهُ إِذَا تَأَخَّرَ عَلَيهِ.

ثُمَّ مَدَحَ مِنْ بَعدِهِ ابْنَهُ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ، وأَخَاهُ بِشْرَ بْنَ مَرْوَانَ، وَابْنَي أَخِيهِ عَبْدِ الْمَلِكِ، سُلَيمَانَ وَهِشَامَ.

وَقَدْ كَانَ شَدِيدَ الإِخْلَاصِ لِمَولاهُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ، الَّذِي أَعْتَقَهُ وَحَرَّرَهُ، فَلَمْ يَزَلْ يَصِلُهُ إِلَى أَنْ مَرِضَ مَرَضَ مَوتِهِ؛ فَزَارَهُ وَأَنْشَدَ شِعْرَاً فِي ذَلِكَ، بَلْ تَمَنَّى أَنْ لَو كَانَ مَرَضُهُ بِهِ وَبِمَنْ جَاءَ يَعُودُهُ لَيَفْدُوهُ مِن الْمَرَضِ، وَلَمَّا مَاتَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بَكَاهُ بُكَاءُ مُرًّا؛ لأَنَّهُ وَلِيُّ نِعْمَتِهِ.

وَالَّذِي دَفَعَنِي لِلْكِتَابَةِ عَنْ هَذَا الْمَوضُوعِ هُوَ طُمُوحُ شَاعِرٍ مِن الرَّقِيقِ سَعَى بِشِعْرِهِ حَتَّى تَوَصَّلَ لِلْبَلَاطِ، وَأَبْدَعَ حَتَّى أَعْتَقَهُ شِعْرُهُ، وَأَعْتَقَ بِشِعْرِهِ جَمِيعَ أَهْلِ بَيتِهِ، بَلْ تَعَدَّى ذَلِكَ إِلَى بَنِي عُمُومَتِهِ، مما يجعل شعره في هذا المقام شَدِيدَ الإِبْدَاعِ حَتَّى سَبَى بِهِ ذَائِقَةَ مَولَاهُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ، وَقَدْ نَافَسَ بِهِ فِي الْبَلَاطِ كِبَارَ الشُّعَرَاءِ كَالْفَرَزْدَقِ، وأَيْمَنَ بنِ خُرَيمٍ، وَغَيرِهِمَا.

المبحثُ الأولُ: صِلَةُ نُصَيبٍ بالبلاطِ المَرْوَانيِّ

ذَكَرَ الأصفهَانيُّ(١) فِيْهِ قِصَّةً طَوِيلَةً فَصَّلَ فِيْهَا فَقَالَ: أَرَادَ النُّصَيْبُ الخُرُوجَ إِلَى عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ، وَهُوَ عَبْدٌ لِبَنِي مُحْرِزٍ الضَّمْرِيِّ، فَقَالَتْ أُمُّهُ لَهُ: إِنَّكَ سَتَرْقُدُ وَيَأْخُذُكَ ابْنُ مُحْرِزٍ يَذْهَبُ بِكَ، فَذَهَبَ وَلَمْ يُبَالِ بِقَوْلِهَا، حَتَّى إِذَا كَانَ بِمَكَانٍ مَاءٍ يُعْرَفُ بِالدَّوِّ، فَبَيْنَمَا هُوَ رَاقِدٌ؛ إِذْ هَجَمَ عَلَيْهِ ابْنُ مُحْرِزٍ فَقَالَ حِيْنَ رَآهُ:

إِنِّي لأَخْشَى مِنْ قِلاصِ ابْنِ مُحْرِزٍ إِذَا وَخَدَتْ بِالدَّوِّ وَخْدَ النَّعائِمِ

يَرُعْنَ بَطِينَ الْقَوْمِ أَيَّةَ رَوْعَةٍ ضُحَيًّا إِذا اسْتَقْبَلْنَهُ غَيْرَ نَائِمِ

وَهَذَا الشِّعْرُ الَّذِي قَالَهُ ارْتِجَالاً؟ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ مَطْبُوعٌ عَلَيْهِ مُنْذُ الصِّغَرِ.

فَأَطْلَقُوهُ فَرَجَعَ فَأَتَى أُمَّهُ، فَقَالَتْ أَخْبَرْتُكَ يَابُنَيَّ أَنَّهُ لَيْسَ عِنْدَكَ أَنْ تُعْجِزَ القَوْمَ، فَإِنْ كُنْتَ يَا بُنَيَّ قَدْ غَلَبْتَنِي أَنَّكَ ذَاهِبٌ فَخُذْ بِنْتَ الْفُلانَةِ (نَاقَةٌ بِعَيْنِهَا)، فَإِنِّي رَأَيْتُهَا وَطِئَتْ أُقْحُوصَ بَيْضَاتٍ قَطَاةٍ فَلَمْ تَفْلِقْهُنَّ فَرَكِبَهَا، فَهِيَ الَّتِي بَلَّغَتْهُ ابْنَ مَرْوَانَ(١).

فَالْخَبَرُ يَدُلُّ عَلَى عَرَاقَةِ الْبَدَاوَةِ عِنْدَ نُصَيبٍ وَأُسْرَتِهِ وَرَاثَةً؛ إِذْ إِنَّ أُمَّهُ عَارِفَةٌ بِأُصُولِ الإِبِلِ، وَعِتْقِهَا وَصِفَاتِهَا، فَرَشَّحَتْ لَهُ نَاقَةً مِنْ خِيَارِهَا. وَتَظْهَرُ صِلَتُهُ بِالْبَادِيَةِ وَمَعْرِفَتِهَا مِنْ خِلالِ الشِّعْرِ الرَّصِينِ، وَكَذَلِكَ مِنْ خِلالِ مَعْرِفَتِهِ بِالطُّرُقِ وَالصَّحَارَى؛ لأَنَّهُ سَارَ-مِنْ غَيرِ دَلِيلٍ-إِلَى مِصْرَ بِتِلْكَ النَّاقَةِ الَّتِي أَوْصَلَتْهُ لِعَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ، وَلَمْ يَذْكُرْ أَنَّهُ صَحِبَ فِيْ سَفْرَتِهِ هَذِهِ أَحَدًا.

وَقِيْلَ: إنَّهُ كَانَ حَبَشِياً يَرْعَى إِبِلاً لِمَوَالِيْهِ فَأَضَلَّ مِنْهَا بَعِيْراً، فَخَرَجَ فِيْ طَلَبِهِ حَتَّى أَتَى الْفُسْطَاطَ، وَبِهِ إِذْ ذَاكَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مَرْوَانَ، وَهُوَ وَلِيُّ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ، فَقَالَ نُصَيْبٌ: مَا بَعُدَ عَبْدِ الْعَزِيْزِ وَاحِدٌ أَعْتَمِدُه لِحَاجَتِي! فَأَتَى الْحَاجِبَ فَقَالَ: اسْتَأْذِنْ لِي عَلَى الأَمِيرِ، فَإِنِّي قَدْ هَيَّأْتُ لَهُ مَدِيْحَاً، فَدَخَلَ الْحَاجِبُ فَقَالَ: أَصْلَحَ اللهُ الأَمِيْرَ! بِالْبَابِ رَجُلٌ أَسْوَدُ يَسْتَأْذِنُ عَلَيْكَ بِمَدِيْحٍ قَدْ هَيَّأَهُ لَكَ، فَظَنَّ عَبْدُ الْعَزِيْزِ أَنَّهُ مِمَّنْ يَهْزَأُ بِهِ وَيُضْحِكُهُمْ، فَقَالَ: مُرْهُ بِالْحُضُورِ لِيَوْمِ حَاجَتِنَا إِلَيْهِ، فَغَدَا نُصَيْبٌ وَرَاحَ إِلَى البَابِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ، وَأَتَاهُ آتٍ مِنْ عَبْدِ الْمَلِكِ فَسَرَّهُ، فَأَمَرَ بِالسَّرِيرِ فَأُبْرِزَ لِلنَّاسِ، وَقَالَ: عَلَيَّ بِالأَسْوَدِ، وَهُوَ يُرِيْدُ أَنْ يُضْحِكَ مِنْهُ النَّاسَ، فَدَخَلَ فَلَمَّا كَانَ حَيْثُ يُسْمَعُ كَلامُهُ، قَالَ:

حِيْنَ تَرَىْ السَّائِلِيْنَ ... أَنْدَى مِنَ اللَّيْلَةِ الْمَاطِرَهْ
فَمِنْكَ الْعَطَاءُ وَمِنِّي الثَّنَاءُ ... بِكُلِّ مُحَبَّرَةٍ سَائِرَهْ لِعَبْدٍ
الْعَزِيْزِ عَلَى قَوْمِهِ ... وَغَيْرِهُمُ نِعَمٌ غَامِرَهْ
فَبَابُكَ أَلْيَنُ أَبْوَابِهِمْ ... وَدَارُكَ مَأْهُولَةٌ عَامِرَهْ
وَكَلْبُكَ آنَسُ بِالْمُعْتَفِينَ ... مِنَ الأُمِّ بِابْنَتِهَا الزَّائِرَهْ

فَقَالَ: أَعْطُوْهُ أَعْطُوْهُ، فَقَالَ: إِنِّي مَمْلُوكٌ، فَدَعَا الْحَاجِبَ فَقَالَ: اخْرُجْ فَأَبْلِغْ فِي قِيْمَتِهِ، فَدَعَا الْمُقَوِّمِيْنَ، فَقَالَ: قَوِّمُوْا غُلاماً أَسْوَدَ لَيْسَ بِهِ عَيْبٌ، قَالُوا: مِائَتَا دِيْنَارٍ، قَالَ: إِنَّهُ رَاعٍ لِلإِبِلِ: يُبْصِرُهَا وَيُحْسِنُ الْقِيَامَ عَلَيْهَا، قَالُوا: حِيْنَئِذٍ ثَلاثُمِائَةِ دِيْنَارٍ، قَالَ: إِنَّهُ يَبْرِي الْقِسِيَّ وَيُثَقِّفُهَا، وَيَرْمِي النَّبْلَ وَيَرِيْشُهَا، قَالُوا: أَرْبَعُمِائَةِ دِيْنَارٍ، قَالَ: إِنَّهُ رَاوِيَةٌ لِلشِّعْرِ بَصِيرٌ بِهِ، قَالُوا: سِتَّمِائَةَ دِيْنَارٍ، قَالَ إِنَّهُ شَاعِرٌ لاَ يُلْحَقُ حِذْقاً، قَالُوا: أَلْفُ دِيْنَارٍ. قَالَ عَبْدُ الْعَزِيْزِ: ادْفَعُوا إِلَيْهِ. قَالَ: أَصْلَحَ اللهُ

الأمِيْرَ! ثَمَنُ بَعِيْرِي الَّذِي أَضْلَلْتَ، قَالَ: وَكَمْ ثَمَنُهُ؟ قَالَ: خَمْسَةٌ وَعِشْرُوْنَ دِيْناراً، قَالَ: ادْفَعُوْهَا إِلَيْهِ، قَالَ: أَصْلَحَ اللهُ الأَمِيْرَ! جَائِزَتِي لِنَفْسِي عَنْ مَدِيْحِي إِيَّاكَ، قَالَ: اشْتَرِ نَفْسَكَ ثُمَّ عُدْ إِلَيْنَا(٢).

وَفِي رِوَايَةِ الزَّجَّاجِ (٣) أَنَّ نُصَيْباً هُوَ الَّذِي أَخْبَرَ عَنْ نفسِهِ فَقَالَ: قُوْلُوْا عَلَى أَنْ أَبْرِيَ الْقِسِيَّ، وَأُرِيْشَ السِّهَامَ، وَأَحْتَجِرَ الأَوْتَارَ، فَقَالُوا: (بِكَذَا) قَالَ: قُوْلُوا عَلَى أَنْ أَرْعَى الإِبِلَ وَأَمْرِيَهَا، وَأُقَضِّيَهَا وَأُصْدِرَهَا، وَأُوْرِدَهَا وَأَرْعَاهَا وَأُرْعِيَهَا ... قَالَ نُصَيْبٌ: قُوْلُوا عَلَى عَرَبِيٍّ شَاعِرٍ، لاَ يُوْطِيءُ وَلاَ يُقْوِي وَلا يُسَانِدُ(٤).

وَالإِيْطَاءُ تَكْرِيْرُ الْقَافِيَةِ، أُخِذَ مِنَ التَّوَاطُؤِ، وَهُوَ التَّوَافُقُ؛ سُمِّيَ بِذَلِكَ لاتِّفَاقِ اللَّفْظَيْنِ(٥) ، وَالإِقْوَاءُ تَحْرِيْكُ الرَّوِيِّ مَقْرُوْناً بِحَرَكَةٍ أُخْرَى مُخَالِفَةٍ لِمَا قَبْلَهَا(٦)، وَالسِّنَادُ هُوَ كُلُّ عَيْبٍ يَلْحَقُ الْقَافِيَةَ، وَقِيْلَ كُلُّ عَيْبٍ سِوَى الإِيْطَاءِ والإِقْواءِ(٧).

وهَذا مَا صَقَلَتْهُ بِهِ الْبَادِيَةُ، عِنْدَمَا كَانَ رَاعِياً لِلإِبِلِ فَعَرَفَ الشِّعْرَ، وقَوَاعِدَهُ وَعُيُوبَهُ، كَمَا عَرَفَ بَرْيَ القِسِيِّ، وَرِيْشَ السِّهَامِ، وَقِيَامَهُ بِالإِبِلِ، وَطُرُقَ الْبَادِيَةِ.

لِهَذا إِذَا اعْتَاصَ عَلَيْهِ القَرِيْضُ تَذَكَّرَ الْبَادِيَةَ فَحَنَّ إِلَيْهَا، كَمَا يَهِيْجُ رَسْمُ الدِّيَارِ شُعُوْرَ الشُّعَرَاءِ، فَتَجُوْدُ قَرَائِحُهُمْ بِمَكْنُوْنَاتِ قُلُوبِهِمْ، وَمَطْوِيَّاتِ عَوَاطِفِهِمْ. وكَذا كَانَ نُصَيْبٌ(٨) عِنْدَما سُئِلَ: أَتَطْلُبُ الْقَرِيْضَ أَحْيَاناً فَيَعْسُرُ عَلَيْكَ؟ فَقَالَ: إِيْ واللهِ لَرُبَّمَا فَعَلْتُ، فَآمُرُ بِرَاحِلَتِي فَتُشَدُّ عَلَيْهَا رَحْلِي، ثُمَّ أَسِيْرُ فِيْ الشِّعَابِ الْخَالِيَةِ، وَأَقِفُ فِي الرِّبَاعِ الْمُقْوِيَةِ، فَيُطْرِبُنِي ذَلِكَ وَيَفْتَحُ لِيَ الشِّعْرَ.

ولعلَّ أوَّلَ اتِّصَالِهِ بِالْبَلاطِ الأُمَوِيِّ، هُوَ ذَاكَ الَّذِي كَانَ مَعَ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ، ثُمَّ بَعْدَه عبدُ الْمَلِكِ، وسُلَيْمانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ، وعُمَرُ بْنُ عَبْدِ العَزِيزِ وَغَيْرُهِمْ مِمَّنْ تَعَاقَبَ عَلَى الْبِلاطِ الأُمَوِيِّ.

فهُوَ شَاعِرٌ أُمَوِيٌّ فَصِيحٌ مُقَدَّمٌ فِي النَّسِيبِ وَالْمَدِيحِ، مُتَرَفِّعٌ عَنِ الْهِجَاءِ، وَشِعْرُهُ فِي الذِّرْوَةِ، تَنسَّكَ، وتَرَكَ التَغَزُّلَ فِي آخِرِ عُمُرِهِ، وأقْبَلَ عَلَى شَأْنِهِ، ولَهُ مَعَ الفِرزْدَقِ، وَجَرِيرٍ، وذِي الرُّمَّةِ، والكمَيْتِ، وكُثَيِّرٍ، والأحْوَصِ، والأُقَيْشِرِ، مواقِفُ سَجَّلَ فِيْهَا كَثِيْراً مِنَ التَّفوُّق؛ ولَهُ شِعْرٌ كثيرٌ فِي الاحْتِجَاجِ للسَّوَادِ(٩).

وَقِيلَ(١٠): إِنَّهُ كَانَ لاَ يُنْشِدُ الشِّعْرَ يَوْمَ الجُمُعَةِ، فَفِي رِوَايَةٍ عَنْ رَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ، مِنْ سَاكِنِي الكُوْفَةِ قَالَ: قَدِمَ نُصَيْبٌ الكُوْفَةَ فَوَجَّهَنِي أَبِي إِلَيْهِ، وكَانَ لَهُ صَدِيقاً، فَقَالَ: أَبْلِغْهُ عَنِّي السَّلاَمَ وقُلْ لَهُ: يَقُولُ لَكَ أَبِي إِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُهْدِيَ إِلَيَّ شَيْئاً مِنْ قَوْلِكَ فَعَلْتَ! فَأَتَيْتُهُ فِيْ يَوْمِ الجُمُعَةِ، وَهُوَ يُصَلِّي فأمْهَلْتُ حَتَّى قَضَى صَلاَتَهُ، ثُمَّ أَقْرَأْتُهُ السَّلاَمَ، وأَدَّيْتُ إِلَيْهِ الرِّسَالَةَ، فَرَدَّ وأَحْسَنَ، ثُمَّ قَالَ: قَدْ عَلِمَ أَبُوْكَ أَنِّي لاَ أُنْشِدُ الشِّعْرَ فِيْ يَوْمِ الجُمُعَةِ، ولَكِنْ تَعُوْدُ وَيَكُونُ مَا تُحِبُّ، فَلَمَّا ذَهَبْتُ لأنْصَرِفَ دَعَانِي فَقَالَ لِيْ: أَتَرْوِي الشِّعْرَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَأَنْشِدْنِي لِجَمِيلٍ، فَأَنْشَدْتُهُ:

إِنِّيْ لأَحْفَظُ سِرَّكُمْ وَيَسُرُّنِي ... لَوْ تَعْلَمِيْنَ بِصَالِحٍ أَنْ تُذْكَرِي
وَيَكُوْنُ يَوْمٌ لاَ أَرَى لَكِ مُرْسَلاً ... أَوْ نَلْتَقِي فِيْهِ عَلَيَّ كَأَشْهُرِ
يَا لَيْتَنِي أَلْقَى الْمَنِيَّةَ بَغْتَةً ... إِنْ كَانَ يَوْمُ لِقَائِكُمْ لَمْ يُقْدَرِ
يَقْضِي الدُّيُوْنَ وَلَيْسَ يُنْجِزُ عَاجِلاً ... هَذَا الْغَرِيْمُ لَنَا وَلَيْسَ بِمُعْسِرِ

فَقَالَ: للهِ دَرُّهُ، وَاللهِ مَا قَالَ أَحَدٌ إلا دُوْنَ قَوْلِهِ، ولَقَدْ تَرَكَ لَنَا مِثَالاً يُحْذَى عَلَيْهِ، أَمَّا أَصْنَفُنَا فِيْ شِعْرِهِ فَجَمِيْلٌ، وَأَمَّا أَوْصَفُنَا لِرَبَّاتِ الْحِجَالِ فَكُثَيِّرٌ، وَأَمَّا أَكْذَبُنَا إِذَا قَالَ الشِّعْرَ فَعُمَرُ، وَأَمَّا أَنَا فَأَقُوْلُ مَا أَعْرِفُ.

نَرَى بَصِيْرَةَ نُصَيْبٍ النَّافِذَةَ مِنْ خِلاَلِ نَقْدِهِ آنِفَ الذِّكْرِ الَّذِي فَصَّلَ فِيْهِ تَفْصِيْلاً مُوْجَزاً يُنْبِي عَمَّا وَرَاءَهُ. وكذلكَ كَانَ يَفْعَلُ؛ فَقَدْ قِيْلَ لَهُ – كَمَا رَوَى السُّيُوْطِيُّ– (١١) مَنْ أَشْعَرُ العَرَبِ؟ فَقَالَ: أَخُوْ بَنِي تَمِيْمٍ؛ يَعْنِي عَلْقَمَةَ بْنَ عَبْدَةَ، وَقِيْلَ: أَوْسُ بْنُ حَجَرٍ. وَقِيْلَ لِكُثَيِّرٍ أَوْ نُصَيْبٍ(١٢): مَنْ أَشْعَرُ العَرَبِ؟ فَقَالَ: امْرؤُ القَيْسِ إِذَا رَكِبَ، وَزُهَيْرٌ إِذَا رَغِبَ، وَالنَّابِغَةُ إِذَا رَهِبَ، والأَعْشَى إِذَا شَرِبَ.

وَرَوَى ابنُ سَلاَمٍ(١٣): قَالَ أَبُوْ اليَقْظَانِ: نَا جُوَيْرِيَةُ بْنُ أَسْمَاءَ قَالَ: قُلْتُ لِنُصَيْبٍ مَوْلَى عَبْدِ الْمَلِكِ (وَالصَّحِيحُ مَوْلَى عَبْدِ العَزِيزِ): يَا أَبَا مِحْجَنٍ، مَنْ أَشْعَرُ النَّاسِ؟ فَقَالَ: أَخُوْ بَنِيْ تَمِيْمٍ. قُلْنَا ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: أَنَا. قَالَ: قُلْتُ ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ابْنُ يَسَارٍ النَّسَائِي، فَلَقِيْتُ إِسْمَاعِيْلَ بْنَ يَسَارٍ (النَّسَائِيَّ) فَقُلْتُ: يَا أَبَا فَائِدَةَ، مَنْ أَشْعَرُ النَّاسِ؟ قَالَ: أَخُوْ بَنِي تَمِيْمٍ. قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: أَنَا. قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: نُصَيْبٌ قُلْتُ: إِنَّكُمَا لَتَتَقَارَضَانِ الثَّنَاءَ! قَالَ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: قُلْتُ: سَأَلْتُهُ فَقَالَ فِيْكَ مِثْلَ مَا قُلْتَ فِيْهِ! قَالَ: إِنَّهُ وَاللهِ شَاعِرٌ كَرِيْمٌ.

وَضَعَهُ ابْنُ سَلاَّمٍ(١٤): فِي الطَّبَقَةِ السَّادِسَةِ مِنَ الإِسْلاَمِيِّيْنَ.

المبحثُ الثَّاني: شِعْرُ نُصَيبٍ فِي بَلاَطِ عَبْدِ الْعَزِيْزِ بْنِ مَرْوَانَ وابْنِهِ عمرَ:

"هُوَ عَبْدُ العزيزِ بْنُ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ الأُمَوِيُّ، أَمِيْرُ مِصْرَ، وهُوَ مِنْ مَشَاهِيرِ التَّابِعِيْنَ الَّذِينَ رَوَوْا الْحَدِيْثَ، رَوَى عَنْ أَبِيْهِ، وأَبِي هُرَيْرَةَ، وعُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ.

وَرَوَى عَنْهُ ابنُهُ عُمَرُ أَميرُ المؤمنينَ، والزُّهْـرِيُّ، وَطائِفـةٌ. وَثَّقَـهُ النَّسَـائِيُّ، وابْـنُ سَعْدٍ، مَاتَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ، وقِيلَ خَمْسٍ وثَمانِينَ"(١٥).

وَهُوَ فِي مُقَدِّمَةِ مَمْدُوحِي نُصَيْبِ بْنِ رَبَـاحٍ الشَّـاعِرِ؛ إِذْ هُـوَ وَلِـيُّ نِعْمَتِـهِ الَّـذِي أَعْتَقَهُ، وأَنْعَمَ عَلَيْهِ، وأَعْتَقَ أَهْلَهُ، وأَنَاهُ فِيْ مَجْلِسِـهِ، ورَفَـعَ رُتْبَتَـهُ، وفضَّـلَهُ عَلَـى غَيْرِه؛ كأَيْمَنَ بنِ خُرَيْمٍ الشَّاعِرِ.

قَصَدَ نُصَيبٌ الشَّاعِرُ عَبْدَ العَزِيـزِ بْـنَ مَـرْوَانَ دُونَ غَيْـرِه مِـنْ وُلاةِ بَنِـي أُمَيَّـةَ بِالمَدْحِ، وعَلَّقَ بِهِ آمالَهُ لِيُعْتِقَهُ، ويُعْتِقَ أَهْلَـهُ، ولَـمْ يَخِـبْ فِيـهِ ظَنُّـهُ وَمِـنْ أَشْـهَرِ مَدَائِحِهِ فِيهِ قَوْلَهُ(١٦):

لِعَبْدِ الْعَزِيزِ عَلَى قَوْمِهِ ... وَغَيْرِهِمُ نِعَـمٌ غَـامِـرَهْ
فَـبَابُكَ أَلْـيَنُ أَبْوَابِـهِـمْ ... وَدَارُكَ مَأْهُولَةٌ عَامِـرَهْ
وكَلْـبُكَ آنَـسُ بالْمُعْتَفِيـنَ ... مِنَ الأُمِّ بِابْنَتِها الزَّائِـرَهْ
وكَفُّكَ حِينَ تَرَىٰ السَّائِلِيْـنَ ... أَنْدَى مِنَ اللَّيْلَةِ الْمَاطِرَهْ
فَمِنْكَ الْعَطَاءُ ومِنِّي الثَّـنَاءُ ... بِكُلِّ مُحَـبَّرَةٍ سَـائِـرَهْ

والأَبْيَاتُ لِنُصَيبٍ وقَدْ نَسَبَهَا أَبُو تَمَّامٍ(١٧). للأَقَيْبِلِ الْقَيْنِيِّ عَلَـى شَـكٍّ مِنْـهُ لِقَوْلِـهِ وتُرْوَى لِنُصَيْبٍ. ونَسَبَها الْجاحِظُ لِعِمْرَانَ بْنِ عِصَامٍ(١٨).

ونَسَبَهُ الزَّجَّاجِيُّ(١٩) لِنُصَيْبٍ وكَذَلِكَ الجُرْجَـانِيُّ(٢٠) والأَبْيَـاتُ فِـي نِسْـبَتِهَا إِلَـى نُصَيْبٍ، أَشْهَرُ مِنْ أَنْ تُنْسَبَ لِغَيرِهِ. ويَـرَى الجُرْجَـانِيُّ أَنَّ الأَبْيَـاتَ شَـدِيدَةُ الشَّـبَهِ بِغَيْرِها فَيَقُولُ: وتَنْظُرُ إِلَى قَوْلِ نُصَيْبٍ:

لِعَبْدِ الْعَزِيزِ عَلَى قَوْمِهِ ... وَغَيْرِهِمُ نِعَـمٌ غَامِرَهْ
فَبَابُكَ أَلْـيَنُ أَبْوَابِـهِـمْ ... وَدَارُكَ مَأْهُولَةٌ عَامِرَهْ

وَكَلْبُكَ آنَسُ بالْمُعْتَفِينَ مِنَ الأُمِّ بِابْنَتِها الزَّائِرَهْ

فَتَعْلَمُ أَنَّهُ مِنْ قَوْلِ الآخَرِ:

يَكَادُ إِذَا مَا أَبْصَرَ الضَّيفَ مقبلاً يُكَلِّمُهُ مِنْ حُبِّهِ وَهْوَ أَعْجَمُ

وربَّمَا لَمْ يكُنْ كَلامُ الجُرْجَانِيِّ غَرِيْباً لأنَّ التَّوافُقَ فِي الشِّعْرِ مَوْجُودٌ كَمَا قَالَ عَنْتَرَةُ(٢٢):

هَلْ غَادَرَ الشُّعَرَاءُ مِنْ مُتَرَدَّمٍ أَمْ هَلْ عَرَفْتَ الدَّارَ بَعْدَ تَوَهُّمِ

فَرُبَّمَا نَظَرَ بعضُهُمْ فِي قَوْلِ بَعْضٍ، فأخَذَ مِنْهُ لفْظَهُ، أوْ مَعْنَاهُ، وَصَاغَهُ صِيَاغَةً جَدِيْدَةً، بألْفَاظِهِ الْخَاصَّةِ، وَرُبَّمَا وقَعَ ذَلِكَ إِسْمَاحَاً، مِنْ غَيْرِ نَظَرٍ، مِنْ بَابِ تَوَارُدِ الخَوَاطِرِ، أوْ وَقْعِ الحَافِرِ عَلَى الْحَافِرِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، فَانْظُرْ إِلَى أَبْيَاتِ نُصَيْبٍ وقَوْلِ ابن هَرْمَةَ(٢٣):

لِلَّهِ دَرُّكَ مِنْ فَتىً فَجَعَتْ بِهِ هَشٌّ يَوْمَ الْبَقِيْعِ حَوَادِثُ الأَيَّامِ

إِذا نَزَلَ الوُفُودُ بِبَابِهِ فَإِذَا رَأَيْتَ سَهْلَ الحِجَابِ مُؤَدَّبُ الخُدَّامِ

شَقِيقَهُ وَصَدِيقَهُ لَمْ تدْرِ أَيُّهمَا أَخُو الأَرْحَامِ

تَجِدُ بَيْنَهُمَا صِلَةً قَوِيَّةً، ومِثْلُهُ قَوْلُ كَعْبِ بْنِ سَعْدٍ الغَنَوِيِّ(٢٤):

حَبِيبٌ إِلَى الزُّوَّارِ غِشْيَانُ بَيْتِهِ جَمِيلُ المُحَيَّا شَبَّ وَهْوَ أَدِيْبُ

إِذَا مَا تَرَاءَاهُ الرِّجَالُ تَحَفَّظُوا فَلَمْ تَنْطِقِ العَوْرَاءَ وَهُوَ قَرِيْبُ

وَصُورَةُ عبدِ الْعزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ، مِنْ خِلالِ الأَبْيَاتِ، أَنَّهُ رَجُلٌ فِي ذُرَا المَجْدِ العُلْيَا، بِمَا لَهُ مِنْ نِعَمٍ ظَاهِرَةٍ، لا تُنكَرُ، ولا تُجحَدُ عَلَى قَوْمِهِ وغَيْرِهِمْ؛ وذَلِكَ بَادٍ مِنْ لِينِ بَابِهِ، وَهُوَ وَالٍ، وعِمْرَانِ دارِهِ بِالضُّيُوفِ، وجُبْنِ كَلْبِهِ؛ لِمَا أُلِفَ مِنْ كَثْرَةِ الوُفُودِ، مَعَ اخْتِلافِ دَرَجَاتِهِمْ وطَبَقَاتِهِمْ، لِدَرَجَةٍ بَعِيدَةٍ، فَاقَ بِهَا عَطْفَ

الأُمُومَةِ؛ وأمَّا كفُّهُ مِنْ سَخَائِهَا، فَهِيَ أَنْدَى مِنَ اللَّيْلَةِ الْمَطِيرَةِ، فَيُعْطِي مَنْ سَأَلَهُ، ومَنْ لَمْ يسْأَلْهُ، فَيُغْنِي كُلَّ مَنْ وَصَلَ إِلَيهِ، فَيَكُونُ نِتَاجُ ذَلِكَ ثَنَاءً سَيِّئاً يَبْقَى الرُّكْبَانُ، يُخَلِّدُهُ مَدَى الزَّمَانِ، وَقَدْ قَالَ أَبُو الطيِّب(٢٥):

تَرَكْتُ السُّرَى خَلْفِي لِمَنْ قَلَّ مَالُهُ ... وأَنْعَلْتُ أَفْرَاسِي بِنُعْمَاكَ عَسْجَدَا

وَقَيَّدْتُ نَفْسِي فِي ذَرَاكَ مَحَبَّةً ... وَمَنْ وَجَدَ الإِحْسَانَ قَيْداً تَقَيَّدَا

قال الآمِدِيُّ: (وهَكَذَا يَكُونُ الشِّعْرُ كَمَا قَالَ الْبُحْتُرِيُّ(٢٦):

والشِّعْرُ لَمْحٌ تَكْفِي إِشَارَتُهُ ... وَلَيْسَ بِالْهَذْرِ طُوِّلَتْ خُطَبُهْ

وَقَالَ الْبُحْتُرِيُّ أَيْضاً:

وَمَعَانٍ لَوْ فَصَّلَتْهَا الْقَوَافِي ... هَجَّنَتْ شِعْرَ جَرْوَلٍ ولَبِيْدِ

حُزْنَ مُسْتَعْمَلَ الكَلامِ اخْتِياراً ... وتَجَنَّبْنَ ظُلْمَةَ التَّعْقِيدِ

وركِبْنَ اللَّفْظَ القَرِيبَ فأدْرَكْـ ... ـنَ بِهِ غَايَةَ المُرَادِ البَعِيْدِ

ولِذلك ذَهَب الآمِدِيُّ(٢٧) إلى قَوْلِهِ: (ولَيْسَ الشِّعْرُ عِنْدَ أَهْلِ العِلْمِ بِهِ إلا حُسْنَ التَّأَنِّي، وقُرْبَ المَأْخَذِ، واخْتِيَارَ الكَلامِ، ووَضْعَ الأَلْفَاظِ فِي مَوَاضِعِهَا، وأَنَّهُ يُوْرِدُ المَعْنَى باللَّفْظِ المُعْتَادِ فِيهِ المُسْتَعْمَلِ فِي مِثْلِهِ، وَأَنْ تَكُونَ الاسْتِعَارَاتُ والتَّمْثِيْلاتُ لائِقَةً بِمَا اسْتُعِيْرَتْ لَهُ، وغَيْرَ مُنَافِرَةٍ لِمَعْنَاهُ؛ فَإِنَّ الْكَلامَ، لا يَكْتَسِي البَهَاءَ والرَّوْنَقَ، إلا إِذَا كَانَ بِذَا الْوَصْفِ، وتِلْكَ طَرِيقَةُ البُحْتُرِيِّ.

ثُمَّ يَقُولُ(٢٨): (وأَنَا أَجْمَعُ لَكَ مَعَانِيَ هَذَا الْبَابِ فِي كَلِمَاتٍ سَمِعْتُهَا مِنْ شُيُوْخِ أَهْلِ العِلْمِ بالشِّعْرِ:

زَعَمُوا أنَّ صِنَاعَةَ الشِّعْرِ، وغَيْرَهَا مِنْ سَائِرِ الصِنَاعَاتِ، لاَ تَجُودُ وتَسْتَحْكِمُ إلاَّ بأرْبَعَةِ أشياءٍ (وَهِيَ): جَودَةُ الآلَةِ، وإصَابَةُ الغَرَضِ المقْصُودِ، وصِحَّةُ التَّأْلِيفِ، والانْتِهَاءُ إلَى تَمَامِ الصَّنْعَةِ مِنْ غَيْرِ نَقْصٍ فِيهَا، ولا زِيَادَةٍ عَلَيْهَا.

ولَعَلَّ هَذَا هُوَ الَّذِي وَجَدْنَاهُ فِي شِعْرِ نُصَيْبٍ فِي مَدْحِهِ عبدَ العزيزِ بْنَ مَرْوَانَ.

وَقَالَ فِيهِ يمدحُهُ(٢٩):

أَلا أيُّها الرَّبْعُ المُقِيمُ بِعَيْنَبِ ... سَقَتْكَ الْغَوَادِي مِنْ مُرَاحٍ ومَعْزَبِ

بِذِي هَيْتَبٍ أمَّا الرُّبَا تَحْتَ وَنْقِهِ ... فَتَرْوَى وَأمَّا كُلُّ وادٍ فَيَرْعَبُ

أَلاَ هَلْ أتَى الصُّقْرَ ابْنَ مَرْوَانَ أنَّنِي ... أُرَدُّ لَدَى الأبْوابِ عَنْهُ وأُحْجَبُ

وإنِّي ثَوَيتُ الْيَوْمَ والأمْسِ قَبْلَهُ ... عَلَى الْبابِ حَتَّى كَادَتِ الشَّمْسُ تَغْرُبُ مَهَابَةً

وإنِّي إذَا رُمْتَ الدُّخُولَ تَرُدُّنِي ... قَيْسٍ والرِّتَاجُ المُضَبَّبُ

وَأَهْلِي بِأَرْضٍ نَازِحُونَ وَمَا لَهُمْ ... بِهَا كَاسِبٌ غَيْرِي ولا مُتَقَلَّبُ

فَهَلْ تُلْحِقَنِّيهِمْ بِعَبْلٍ مُوَاشِكٍ ... عَلَى الأَيْنِ مِنْ نُجْبِ ابْنِ مَرْوَانَ أصْهَبُ وَذُو

أبُوبَكْرَاتٍ إنْ أرَنْتَ افْتِحَالَهُ ... تَبَتَّانِ بالرَّدِيقَيْنِ مُتْعَبُ

وَقَدْ نُسِبَ الْبَيْتُ الأوَّلُ للأَحْوَصِ الأنْصَارِي(٣٠)، وذكرَ مُحَقِّقُ ديوَانِهِ(٣١) أنَّ البَكْرِيَّ فِي مُعْجَمِ مَا اسْتَعْجَمَ (عَيْنَبَ) نَسَبَ هَذَا البَيْتَ للأَحْوَصِ الأنْصَارِيِّ، ولَعَلَّهُ الصَّحِيحُ لأنَّهُ مُخالفٌ لِرَوِيِّ القَصِيدَةِ الَّتِي يَمْدَحُ نُصَيْبٌ بِهَا عَبْدَ العَزِيزِ بنَ مَرْوَانَ، والِيَ مَصرَ.

وَقَدْ قَدَّمَ الشَّاعِرُ لأبْيَاتِهِ، بالوُقُوفِ عَلَى الأطْلالِ، فِي لَمْحَةٍ سَرِيعَةٍ، بالدُّعاءِ لَهَا بالسُّقْيَا، الَّتِي تَرْوِي رُبَاهَا، وتُنْبِتُ كَلأَهَا، ثُمَّ نَخَلَ فِي مَوْضُوعِهِ الَّذِي يَشْغَلُ بَالَهُ، دُونَ تَخَلُّصٍ مِنْ تِلْكَ المُقَدِّمَةِ، مُبَجِّلاً مَمْدُوحَهُ عَبْدَ العَزِيزِ، بَوَصْفِهِ صَقْراً

شُجَاعاً، ثُمَّ بَيَّنَ لهُ حَالَهُ، بِلَهْجَةٍ مُبَاشِرَةٍ، حَيْثُ أَقَامَ عَلَى بَابِهِ أَيَّاماً، دُونَ عِلْمِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ، ولَمْ يَسْتَطِعِ الدُّخولَ مَهَابَةً، ثُمَّ ذَكَرَ أَهْلَهُ النَّازِحِينَ، ولَيْسَ لَهُم كَاسِبٌ غَيْرَه، ثُمَّ طَلَبَ طَلَباً مُتَواضِعاً بِطَرِيقٍ مُبَاشِرَةٍ، طَلَبَ بَعِيْراً يُقِلُّهُ إِلَى أَهْلِهِ، مِنْ إِبِلِ ابنِ مَرْوَانَ الصُّهْبِ، النَّجِيْبَةِ، الفُحُولِ الأَصِيلَةِ.

وَهَذَا نَحْوُ قَولِ الحُطيئةِ لأمِيرِ المُؤمِنِين عُمَرَ بْنِ الخَطَّاب:

مَاذَا تَقُولُ لأفْرَاخٍ بِذِي مَرخٍ ... زُغْبِ الحَواصِلِ لا مَاءٌ ولا شَجَرُ

غَيَّبتَ كَاسِبَهُمْ فِي قَعْرِ مُظْلِمَةٍ ... فَاغْفِرْ عَلَيْكَ سَلامُ اللهِ يا عُمَرُ

وكَانَ نُصَيْبٌ كَثِيراً مَا يَرِدُ عَلَى عَبدِ العَزِيزِ فيسألُهُ، ولَوْ لَمْ يَكُنْ عَبدُ العَزِيزِ كَرِيماً كَمَا وَصَفَهُ الشَّاعِرُ؛ لَمَا أَعْطَاهُ فِي كُلِّ مَرَّةٍ، ولَوْ مَنَعَه مَرَّةً وَاحِدَةً، لَمَا وَفَدَ عَلَيْهِ ثَانِيةً، لِمَا اتَّصَفَ بِهِ نُصَيْبٌ مِنْ صِفَاتِ الْعِفَّةِ، ونَحْوِهَا.

ولَعَلَّ هَذِهِ الأبياتَ، هِيَ أَوَّلُ ما دَخَلَ بِهِ عَلَى عبدِ العَزِيزِ؛ لِعِلْمِنَا أَنَّهُ أَضَلَّ بَعِيْراً، مِنْ إِبِلِ سَيِّدِهِ، فَطَلَبَهُ من عَبْدِ العَزِيزِ، وَأَنَّهُ لَمَا قَدِمَ مِصْرَ حُجِبَ عن الدُّخولِ عَلَيْهِ، ولذلك نَظَمَ ذَلِكَ فِي شِعْرِه، ولَمَّا دَخَلَ عَلَيهِ، وَصَارَ الدُّخُولُ عَلَيْهِ سَهْلاً؛ بَعْدَ أَنْ عَرَفَهُ عَبْدُ العَزِيزِ، وقَرَّبَهُ، ونَظَمَ قَصِيْدَتَهُ الأُخْرَى:

فبابُكَ أَلْيَنُ أبوابِهِمْ ... ودَارُكَ مَأْهُولَةٌ عَامِرَهْ

ولِذَا جاءَه مَرَّةً أُخْرَى مادِحاً لِيُعْتِقَ أَهْلَهُ فَقَالَ(٣٢):

وإنَّ وَرَاءَ ظَهْرِيَ يا ابْنَ لَيلَى أُمَامَةُ أُنَاساً يَنْظُرُونَ مَتَى أؤُوبُ
مِنْهُمُ ولِمَاقِيَيهَا غَدَاةَ البَيْنِ فِي أَثَرِي غُرُوبُ فأشْبَهُ مَا
تَرَكْتُ بِلادَهَا وَنَأَيتُ عَنْهَا رأيْتُ بِهَا السُّلُوبُ
فأتْبِعْ بَعْضَنَا بعْضَاً فَلَسنَا نُثِيْبُكَ لَكِنِ اللهُ المُثِيبُ

وقَالَ(٣٣):

وَقَالَتْ بِالغَدِيرِ غَدِيرِ خُمٍّ أُخِيَّ إلى مَتَى هَذَا الرُّكُوبُ
أَلَمْ تَرَ أَنَّنِي مَا دُمْتَ فِينَا أَنَامُ وَلا أَنَامُ إذَا تَغِيبُ

ولَعَلَّ الأبْيَاتَ مِنْ نَصٍّ وَاحِدٍ، لا سيَّمَا أنَّ جَامِعَ الدِّيْوَانِ، ذَكَرَ أَنَّهُ تَدَخَّلَ فِي تَرْتِيْبِ بَعْضِ الأبياتِ، أَوْ قَدْ يكُونُ وَجَدَ كُلَّ مقطعٍ مِنْهَا عَلَى حِدَةٍ، فإذَا أعَدْنَا تَرْتِيْبَهَا بطَرِيقَةٍ جَدِيْدَةٍ، بِحَيْثُ يَكْتَمِلُ المَعْنَى، لَكانَ حَسَناً سائغاً كَمَا يلي:

وَإِنَّ وَرَاءَ ظَهْرِيَ يَا ابْنَ لَيْلَى أُنَاساً يَنْظُرُونَ مَتَى أؤُوبُ
أُمَامَةُ مِنْهُمُ ولِمَاقِيَيهَا غَدَاةَ البَيْنِ فِي أَثَرِي غُرُوبُ
وَقَالَتْ بِالغَدِيرِ غَدِيرِ خُمٍّ أُخِيَّ إلى مَتَى هَذَا الرُّكُوبُ
أَلَمْ تَرَ أَنَّنِي مَا دُمْتَ فِينَا أَنَامُ وَلا أَنَامُ إذَا تَغِيبُ
تَرَكْتُ بِلادَهَا ونَأيتُ عَنْهَا فَأَشْبَهُ مَا رَأَيْتُ بِهِ السُّلُوبُ
فأتْبِعْ بَعْضَنَا بعْضَا فَلَسْنَا نُثِيْبُكَ لَكِن اللهُ المُثِيبُ

فَيَكُونُ حِينَئِذٍ المَعْنَى مُتَّسقاً، والمَوْضُوعُ واحِداً، والتَّرْتِيبُ جَيِّداً؛ وربَّمَا ذَكَرْنَا فِي هَذَا المَقَامِ أبْيَاتَ أُمَيَّةَ بْنِ أبِي الصَّلْتِ لعَبْدِ اللهِ بنِ جَدْعَانَ(٣٤):

أَنْكُرُ حَاجَتِي أَمْ قَدْ كَفَانِي إِذَا حَيَاؤُكَ إِنَّ شِيمَتَكَ الْحَيَاءُ كَفَاهُ
أُثْنِي عَلَيْكَ الْمَرْءُ يَوْماً مِنْ تَعَرُّضِهِ الثَّنَاءُ

وَلَعَلَّ كَثِيراً مِنْ أَشْعَارِ نُصَيْبٍ ضَاعَتْ، لِعِدَّةِ أَسْبَابٍ، مِنْهَا: أَنَّهُ مَوْلًى، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ رَاوِيَةٌ مَعْرُوفٌ أَوَّلَ أَمْرِهِ، وَرُبَّمَا نُسِبَ أَكْثَرُ شِعْرِهِ لِغَيْرِهِ، لِمَا نَرَى مِنْ تَضَارُبِ الرِّوَايَاتِ، فِي نِسْبَةِ أَشْعَارِهِ، كَمَا مَرَّ بِنَا فِي النَّصِّ السَّابِقِ: (لِعَبْدِ العَزِيزِ عَلَى قَوْمِهِ) مَعَ شُهْرَتِهِ لِنُصَيْبٍ وَهُوَ أَكْثَرُ فِي شِعْرِ الغَزَلِ، وَرُبَّمَا ضَاعَ بَعْضُ القَصِيدَةِ، أَوْ مُعْظَمُهَا (وَإِنَّ وَرَاءَ)، أَوْ تَفَتَّتَتْ إِلَى أَجْزَاءٍ كَمَا فِي النَّصِّ، فَاخْتَلَّ تَرْتِيبُ أَبْيَاتِهَا. فَالنَّصُّ دُونَ مُقَدِّمَةٍ، وَلَا يُعْقَلُ أَنْ يَبْدَأَ قَصِيدَتَهُ مُبَاشَرَةً بِقَوْلِهِ:

وَإِنَّ وَرَاءَ ظَهْرِي يَا ابْنَ لَيْلَى

لَابُدَّ أَنَّ لِلْقَصِيدَةِ مُقَدِّمَةً، وَلَعَلَّهَا ضَاعَتْ، وَرُبَّمَا كَانَتْ أَكْثَرُ قَصَائِدِهِ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ، فَضَاعَتْ، وَلَمْ يَظْهَرْ مِنْهَا إِلَّا الْجُزْءُ، أَوِ الْبَيْتُ، وَالْبَيْتَانِ. مِثْلُ قَوْلِهِ يَمْدَحُ عَبْدَ العَزِيزِ(٣٥):

يَقُولُ فَيُحْسِنُ القَوْلَ ابْنُ لَيْلَى وَيَفْعَلُ فَوْقَ أَحْسَنِ مَا يَقُولُ
فَتًى لَا يَرْزَأُ الْخُلَّانَ إِلَّا مَوَدَّتَهُمْ وَيَرْزَؤُهُ الْخَلِيلُ
فَبَشِّرْ أَهْلَ مِصْرَ فَقَدْ أَتَاهُمْ مَعَ النِّيلِ الَّذِي فِي مِصْرَ نِيلُ

وَقَدْ أَوْرَدَ الْبَيْتَ الأَوَّلَ الْجَاحِظُ(٣٦) فِيمَا يَدْخُلُ فِي بَابِ الخُطَبِ ثُمَّ قَالَ: وَقَالَ الآخَرُ:

أَلَا رُبَّ خَصْمٍ ذِي فُنُونٍ عَلَوْتُهُ وَإِنْ كَانَ أَلْوَى يُشْبِهُ الحَقَّ بَاطِلُهْ

فَهَذا مَعْنى قَوْلِ العَتَّابيِّ: (البَلاغَةُ: إظْهَارُ مَا غَمُضَ مِنَ الحَقِّ، وَتَصْوِيرُ البَاطِلِ فِي صُوَرةِ الحَقِّ). وقَال الشَّاعِرُ، وَهُوَ كَمَا قَالَ:

عَجِبْتُ لإذْلالِ العَيِيِّ بِنَفْسِهِ وَقِي ... وَصَمْتِ الَّذِي قَدْ كَانَ بالقَوْلِ أعْلَمَا

الصَّمْتِ سِرٌ لِلْعَيِيِّ وَإنَّمَا ... صَحِيفَةُ لُبِّ المَرْءِ أنْ يَتَكَلَّمَا

وَمَوْضِعُ الصَّحِيفَةِ مِنْ هَذَا البَيْتِ، مَوْضِعُ ذِكْرِ (العُنْوانِ) فِي شِعْرِ رُثْيَ عُثْمَانُ بْنُ عفَّانَ -رَحِمَهُ اللهُ-بِهِ حَيْثُ يَقُولُ الشَّاعِرُ:

ضَحَّوْا بِأشْمَطَ عُنْوانُ السُّجودِ بِهِ ... يُقَطِّعُ اللَّيْلَ تَسْبِيْحاً وَقُرْآنا

وَإذا جَعَلْنَا كَلامَ الجَاحِظِ هَذَا فِي البَيَانِ، عُمْدَةً لَنَا لَقُلْنَا: إنَّ نُصَيْباً أرادَ أنْ يَقُولَ: بِأنَّ عَبْدَ العَزِيزِ قَدْ مَلَكَ ناصِيَةَ البَيانِ، والفصَاحَةِ، فِي مقَامِ القَوْلِ، فَإذَا جَاءَ مَقَامُ الفِعْلِ، بَذَّ بِفعْلِهِ قَوْلَهُ، وَهَذا هُوَ الفَضْلُ أجْمَعُ. وَمِثْلُهُ قَوْلُ المُتَنَبِّي:

مُلُومُكُما يَجِلُّ عَنِ المَلامِ ... وَوَقْعُ فَعَالِهِ فَوْقَ الكَلامِ(٣٧)

وَفِي هَذَا المَقَامِ مَقَامِ البَيَانِ، شِعْرُ زُهَيْرِ بْنِ أبِي سُلْمَى(٣٨):

وَكَائِنْ تَرَى مِنْ صَامِتٍ لَكَ مُعْجِبٍ ... زِيَادَتُهُ أو نَقْصُهُ فِي التَّكَلُّمِ

لِسَانُ الفَتَى نِصْفٌ وَنِصْفٌ فُؤَادُهُ ... فَلَمْ يَبْقَ إلا صُوْرَةُ اللَّحْمِ والدَّمِ

وكذلِكَ قَوْلُ بشَّارٍ(٣٩) في المَدْحِ، وَرُبَّمَا أخَذَهُ مِنْ نُصَيْبٍ:

إذَا قَالَ تَمَّ عَلَى قَوْلِهِ ... وَمَاتَ العَنَاءُ بِلا أوْ نَعَمْ

كَجَارِي السَّرابِ تَرَى لَمْعَهُ ... وَلَسْتَ بِوَاجِدِهِ عِنْدَ كَمْ

وعَكْسُهُ قَوْلُ زِيادٍ الأعْجَمِ(٤٠):

للهِ دَرُّكَ مِنْ فَتًى ... لَوْ كُنْتَ تَفْعَلُ مَا تَقُولْ

لاْ خَيْرَ فِي كَذِبِ الجَوَادِ ... وَحَبَّذا صِدْقُ البَخِيلْ

وَقَدْ رَوَى أَبُو عُمَرَ الكِنْدِيُّ فِي ذَلِكَ قَائِلاً(٤١):(الْتَقَى زهيرُ بنُ قَيسٍ البَلَوِيُّ، وعبدُ الْعزِيزِ بنُ مَرْوَانَ، وَقَدْ تَقَدَّمَ إِلَى مِصْرَ مع أَبِيهِ، إِلَى عُمَّالِ عَبدِ اللهِ بنِ الزُّبيرِ بِبُسَاقٍ – وَهُوَ سَفْحُ عَقَبَةِ أَيْكَةَ – فانْهَزَمَ زُهَيرٌ وَمَنْ مَعَهُ؛ فَقَالَ نُصَيْبٌ:

حَلَلْتَ بُساقاً والبِطَاحَ فَلَمْ تَـــرِمْ بِطَاحَكَ كَبْمَا أَنْ حَمَيْتَ ذِمَارَكَا

فسُؤْتَ الأُلى ولَّوْا عَنِ الأمْرِ بَعْدَما أرادُوا عَلَيْهِ –فَاعْلَمَنَّ–اقْتِسَارَكَا

والرِّوايَةُ في الدِّيْوانِ (حَلَت بُسَاقاً) ولَعَلَّهَا حَلَلتَ وكذلكِ (فساءت) ولعلَّهَا فسُؤْتَ؛ لأن البيْتَين يَنْكَسِرَانِ مِنْ جهةِ الْوَزْنِ وَالْمَعْنَى إِنْ تُرِكاً عَلَى ما في الدِّيوانِ مِنْ خطأ لعلَّهُ طِبَاعِيٌّ. ومن تِلكَ الأبْيَاتِ المُقَطَّعَةِ أَيْضاً قَوْلُهُ(٤٢):

مَنْ ذَا ابنَ لَيلَى جَزَاكَ اللهُ مَغْفِرَةً يُغْنِي مَكانَكَ أَوْ يُعْطِي كَما تَهَبُ

قَدْ كَانَ عِنْدَ ابْنِ لَيلَى غَيرَ مُعْوِزَةٍ لِلْفَضْلِ وَصْلٌ وَلِلمُعْتَرِّ مُرْتَغَبُ

قَالَ ابْنُ الأَنْبَارِيِّ (٤٣): المُعْتَرُّ: الَّذِي يُعَرِّضُ نَفْسَهُ بالمَسْأَلَةِ، وَلا يُصَرِّحُ، وَيُقَالُ: المُعْتَرُّ السَّائِلُ. قَالَ نُصَيْبٌ فِي المُعْتَرِّ:

مَنْ ذَا ابنَ لَيلَى..... الأبيات.

رِثَاءُ نُصَيْبٍ لِعَبْدِ الْعَزِيزِ وابْنِهِ عُمَرَ:

ذَكَرَ السُّيُوطِيُّ(٤٤) "قِصَّةَ عَبْدِ العزيزِ بْنِ مَرْوانَ، فَقَالَ: (... وَدَخَلَ مَرْوانُ إِلَى مِصْرَ، فَتَمَلَّكَها، وَجَعَلَ عَلَيْهَا وَلَدَهُ عَبدَ العزيزِ، في سَنَةِ خَمْسٍ وستِّيْنَ، فَلَمْ يَزَلْ أَمِيْراً بِهَا عِشْرِيْنَ سنةً. وكَانَ أَبُوهُ جَعَلَ إِلَيْهِ عَهْدَ الْخِلافَةِ بَعْدَ عَبْدِ الْمَلِكِ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ عَبْدُ الْمَلِكِ يَسْتَنْزِلُهُ عَنِ الْعَهْدِ الَّذِي لَهُ مِن بَعْدِهِ، لوَلَدِهِ الْوَلِيْدِ، فَأَبَى عَلَيْهِ، ثُمَّ إِنَّهُ ماتَ مِنْ عَامِهِ.

قَالَ ابْنُ عَبدِ الحَكَم: وَقَعَ الطَّاعُونُ بالفُسْطَاطِ، فَخَرجَ عَبدُ العزِيزِ إِلَى حُلْوانَ، وكَانَ ابنُ خُنَيْجٍ يُرْسِلُ إِلَيْهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ بخَبرِ مَا يَحْدُثُ فِي البَلَدِ مِنْ مَوْتٍ وَغَيرِهِ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ ذَاتَ يَوْمٍ رَسُولاً فأَتَاهُ، فَقَالَ لَهُ عَبدُ العَزِيزِ: مَا اسْمُكَ؟ قَالَ: أَبُو طَالِبٍ، فَتَفَاءَلَ ذَلِكَ عَلَى عَبدِ العَزِيزِ وَغَاظَهُ، فَقَالَ: أَسأَلُكَ عَن اسْمِكَ فَتَقُولُ: أَبُوطَالِبٍ! مَا اسْمُكَ؟ قَالَ: مُدْرِكٌ، فَتَفَاءَلَ عَبدُ العَزِيزِ بِذَلِكَ فَمَرِضَ، فَدَخَلَ نُصَيْبٌ الشَّاعِرُ، فأَنْشَأَ يَقُولُ:

وَنَزُورُ سَيِّدَنَا وَسَيِّدَ غَيْرِنَا ... لَيْتَ التَّشَكِّيَ كَانَ بالْعُوَّادِ
لَوْ كانَ يُقْبِلُ فِدْيَةً لَفَدَيْتُهُ ... بِالْمُصْطَفَى مِنْ طَارِفِي وَتِلادِي

فَأَمَرَ لَهُ بِأَلْفِ دِينَارٍ، ثُمَّ مَاتَ عَبدُ العزِيزِ بِحُلْوانَ، فَحُمِلَ فِي الْبَحْرِ إِلَى الفُسْطَاطِ، وَدُفِنَ بِمَقْبَرَتِهَا".

وكَانَتْ وَفَاتُهُ لَيْلَةَ الاثْنَيْنِ، ثَانِي عَشَرَ جُمَادَى الأُولى، سَنَةَ سِتٍّ وثَمَانِينَ. وكُتِبَ هَذَا التَّارِيخُ عَلَى قَبْرِهِ بِحُلْوَانَ:

فَقَالَ نُصَيْبٌ يَرْثِيهِ(٤٥):

أُصِبْتُ يَوْمَ الصَّعِيدِ مِنْ سُكَرٍ ... مُصِيبَةً لَيْسَ لِي بِهَا قِبَلُ
تَاللهِ أُنْسَى مُصِيبَتِي أَبَداً ... مَا أَسْمَعَتْنِي حَنِينَهَا الإِبِلُ
وَلا التَّبَكِّي عَلَيْهِ أُعْوِلُهُ ... كُلُّ المُصِيبَاتِ بَعْدَهُ جَلَلُ
لَمْ يَعْلَمِ النَّعْشُ مَا عَلَيْهِ مِنَ الْعُرْفِ ... وَلا الْحَامِلُونَ مَا حَمَلُوا
حَتَّى أَجَنُّوهُ فِي ضَرِيحِهِمُ ... حَتَّى انْتَهَى مِنْ خَلِيلِهِ الأَجَلُ

هَذَا النَّصُّ عَلَى قِلَّةِ أَبْيَاتِهِ، وَهِي خَمْسَةٌ كَمَا تَرَى، إِلاَّ أَنَّ الشَّاعِرَ قَدْ سَكَبَ مِنْ خِلالِها عَوَاطِفَهُ الصَّادِقَةَ، فِي تَصْوِيرِ المُصِيبَةِ، الَّتِي هَالَتْهُ بِمَا لا قِبَلَ لَهُ بِهِ،

ففجَعَتْهُ في مَوْلاهُ بالصَّعِيدِ – وَهِي أَرْضُ مِصْرَ الْجَنُوبِيَّةُ – وسُكَرُ (أَصْلُهَا: اسْكَرُ) – وهِي قَرْيَةٌ مَشْهُورَةٌ نحو صَعِيدِ مِصْرَ.

فَعَلِقَتْ هَذِهِ المُصِيبَةُ بِذِهْنِهِ، أَبَدَ الدَّهْرِ بِحَيْثُ لَنْ يَنْسَاهَا، مَا دامَ حيًّا، وَمَا دَامَ يَسْمَعُ حَنِينَ الإِبِلِ، وَهُنَا يَغْلِبُ عَلَيْهِ طَابِعُ البَدَاوَةِ؛ لأَنَّ الْبَدَوِيَّ يَرْبِطُ كُلَّ شَيْءٍ بِبِيئَتِهِ، فَالإِبِلُ يُضْرَبُ بِهَا الْمَثَلُ فِي شِدَّةِ الْحَنِينِ، وقُوَّتِهِ، ومِثْلُهُ قَوْلُ حسَّانَ بْنِ ثابِتٍ(٤٦):

أَقْسَمْتُ أَنْسَاهَا وأَتْرُكُ ذِكْرَهَا حَتَّى تُغَيَّبَ فِي الضَّرِيحِ عِظَامِي

قَالَ ابْنُ رُشْدٍ: المُحَاكَاةُ تَقَعُ بِالتَّذْكِرَةِ؛ وَذَلِكَ أَنْ يُورِدَ الشَّاعِرُ شَيْئاً يُتَذَكَّرُ بِهِ شَيْءٌ آخَرُ، مِثْل أَنْ يَرَى إِنْسَانٌ خَطَّ إِنْسَانٌ فَيَتَذَكَّرَهُ، فَيَحْزَنَ عَلَيْهِ –إِنْ كَانَ مَيِّتاً–أَوْ يَتَشَوَّقَ إِلَيْهِ –إِنْ كَانَ حَيّاً–وَهَذَا مَوْجُودٌ فِي أَشْعَارِ الْعَرَبِ كَثِيراً، مِثْلُ قَوْلِ مُتَمِّمِ بْنِ نُوَيْرَةَ:

وَقَالُوا: أَتَبْكِي كُلَّ قَبْرٍ رَأَيْتَهُ لِقَبْرٍ ثَوَى بَيْنَ اللِّوَى فَالدَّكَادِكِ

فَقُلْتُ لَهُمْ: إِنَّ الأَسَى يَبْعَثُ الأَسَى دَعُونِي فَهَذَا كُلُّهُ قَبْرُ مَالِكِ(٤٧)

وَقَوْلِ الْخَنْسَاءِ تُمَاضِرَ بِنْتِ عَمْرِو بْنِ الشَّرِيدِ فِي رِثَاءِ أَخِيهَا صَخْرٍ(٤٨):

يُذَكِّرُنِي طُلُوعُ الشَّمْسِ صَخْراً لَقَدْ وَأَذْكُرُهُ لِكُلِّ غُرُوبِ شَمْسِ

فَارَقْتُ يَوْمَ فِرَاقِ صَخْرٍ أَبِي حَسَّانَ لَذَّاتِي وأُنْسِي

فَلا وَاللهِ مَا أَنْسَاكَ حَتَّى أُفَارِقَ مُهْجَتِي ويُشَقَّ رَمْسِي

وَقَالَ نُصَيبٌ: دَخَلْتُ عَلَى عَبدِ العَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ، فَقَالَ : أَنْشِدْنِي قَولَكَ:

إِذا لَمْ يَكُنْ بَينَ الْخَلِيلَينِ رِدَّةٌ سِوَى ذِكْرِ شَيْءٍ قَدْ مَضَى دَرَسَ الذِّكْرُ

فَقُلْتُ هَذَا لَيْسَ لِي، هَذَا لأَبِي صَخْرٍ الهُذَلِيِّ، ولَكِنِّي الَّذِي أَقُولُ:

وَقَفْتُ بِذِي وَدَّانَ أَنْشُدُ نَاقَتِي وَمَا إِنْ بِهَا لِي مِنْ قَلُوصٍ وَلاَ بَكْرِ

فَقَالَ لِيْ عَبْدُ العَزِيزِ: لَكَ جَائِزَةٌ عَلَى صِدْقِ حَدِيثِكَ، وَجَائِزَةٌ عَلَى شِعْرِكَ، فَأَعْطَانِي عَلَى صِدْقِ حَدِيثِي أَلْفَ دِينَارٍ، وَعَلَى شِعْرِي أَلْفَ دِينَارٍ (٤٩).

وَدَخَلَ نُصَيْبٌ عَلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، فَلَمَّا أَنْشَدَهُ الأَبْيَاتَ التَّالِيَةَ، قَالَ: أَنَا كُنْتُ أَوْلَى مِنْكَ بِهَذَا القَوْلِ، وهي قَوْلُه(٥٠):

عَرَفْتُ وجرَّبْتُ الأُمورَ فَمَا أَرَى كَمَاضٍ تَلاهُ الْغَابِرُ المُتَأَخِّرُ

ولكِنَّ أَهْلَ الفَضْلِ مِنْ أَهْلِ نِعْمَتِي يَمُرُّونَ أَسْلافاً أَمَامِي وَأُغْبَرُ

فإنْ أَبْكِهِ أُعْذَرْ وَإِنْ أُغْلِبِ الأسى بِصَبْرٍ فَمِثْلِي عِنْدَمَا اشْتَدَّ يَصْبِرُ

وكَانَتْ رِكَابِي كُلَّمَا جِئْتُ تَنْتَحِي لَدَيْكَ وتُثْنِي بِالرِّضَا حِينَ تَصْدُرُ

فَقَدْ عَرِيَتْ بَعْدَ ابنِ لَيْلَى فإنَّمَا ذُرَاهَا لَمَنْ لاقَتْ مِنَ النَّاسِ مَنْظَرُ

وَلَوْ كَانَ حَيّاً لَمْ يَزَلْ بِفُنُوفِهَا قُرادٌ لِغِرْبَانِ الطَّرِيقِ ومَنْقَرُ

فإنْ كُنَّ قَدْ نِلْنَ ابْنَ لَيْلَى فإنَّهُ هُوَ الْمُصْطَفَى مِنْ أَهْلِهِ المُتَخَيَّرُ

إِذَا تَأَمَّلْتَ هَذَا الرِّثَاءَ، تَجِدُهُ فِي قَالَبٍ مُبَاشِرٍ، يَنِمُّ عَنْ وُدٍّ صَادِقٍ، ومَحَبَّةٍ خَالِصَةٍ، وأُخُوَّةٍ عَمِيقَةٍ، مِنَ الشَّاعِرِ، لِمَوْلاهُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، وتَلْمَحُ فِيهَا مَوْقِعَ الإِحْسَانِ مِنْ عَبْدِ العزيزِ لِنُصَيْبٍ، فتَجِدُه وَقَعَ مَوَاقِعَ المَاءِ مِنْ ذِي الغُلَّةِ الصَّادِي، وخُلاصَةُ التَّجرِبَةِ الَّتي خاضَهَا نُصَيْبٌ، في عِلْمِه كُلِّ مَنْ مَضَى مِنَ الأَخْيَارِ، لاَ يأْتِي أَحَدٌ بعده يُمَاثِلُهُ، في الفَضْلِ، أَوْ يُدَانِيهِ، في مُقَدِّمَةِ هؤُلاءِ، عِبْدُ العزيزِ بْنُ مَرْوَانَ. ونُحْوُ بيتِهِ هَذَا قَوْلُ أَبِي الطَّيِّبُ وربَّمَا نَظَرَ فِيهِ(٥١)

إِنِّي لأَعْلَمُ واللَّبِيبُ خَبِيرُ أَنَّ الْحَيَاةَ وإِنْ حَرَصْتَ غُرُورُ

وَلِذلكَ يَرَى نُصَيْبٌ، أَنَّ الْموْتَ إنَّما يَنْتَقِي خِيَارَ النَّاسِ، كَعَبْدِ العزِيزِ، ولَمَّا يَلْحَقْ هُوَ بِهِمْ، ولِذَا جَعَلَ نَفْسَهُ بَيْنَ خِيارَيْنِ: إمَّا أنْ يَبْكِي؛ ويُخَفِّفَ عَنْ نَفْسِهِ بِذَلِكَ، فَيَكُون لَهُ مِنَ البُكاءِ عزاءٌ وَسَلْوَى، وإمَّا أنْ يَتَجلَّدَ ويَخْتَارَ جَانِبَ الصَّبْرِ، في مِثْلِ هَذِهِ الْمَصَائِبِ الْعِظَامِ، بَلْ هُوَ بَيْنَ هَاتَيْنِ الحَالَيْنِ، ثُمَّ يَذْكُرُ مآثِرَهُ، الَّتِي لا تُعَدُّ، ولا تُحَدُّ، وأنَّهُ كُلَّمَا حَلَّ عَلَيْهِ بِرِكابِهِ، أخَذَتِ المَطِيُّ ناحِيَتَهُ، الَّتِي تَعَوَّدَتْ مِنْهَا المَحَامِلَ، والمِيْرَةَ، والأَمْوَالَ، فَصَارَتْ لَهَا عَادَةً مَعْلُومَةً، مِنْ قَدِيمِ الدَّهْرِ، فإذَا ظَفِرَتْ بِعَادَتِهَا، ولَّتْ مُزجِيَةً ثناءَها عَلَيْكَ طِيلَةَ مَسِيْرِهَا، ولَكِنَّهَا عَرِيَتْ بِفَقْدِكَ، ولا يَصْلُحُ الْجُودُ بِغَيْرِكَ، فَلَمْ تَجِدْ مَنْ يستَحِقُّ أنْ تُشَدَّ لَهُ أرْحُلُهَا عَلَيْهَا بَعْدَكَ، فَصَارَتْ مِثْلَ المَنَاظِرِ، ولَوْ كَانَ عَبْدُ العزِيزِ حَيًّا، لَكَانَتْ فِي حَرَكَةِ دُؤُوبٍ، ذَهَاباً إلَيْهِ، وإيَاباً مِنْهُ، ومَا ذَلِكَ إلاَّ لأَنَّهُ المُصْطَفَى مِنْ دُونِ النَّاسِ، المُخْتَارُ مِنْ أهْلِهِ الخِيَارِ.

فَمِنْ لَبَاقَةِ نُصَيْبٍ، وفِطْنَتِهِ، وحُسْنِ عَقْلِهِ تَخَيُّرُهُ عَبدَ العزِيزِ بْنَ مَرْوانَ دُونَ بَقِيَّةِ إخْوَتِهِ، وأَهْلِهِ، فَلَمْ يَخِبْ فِيْهِ ظَنُّهُ، إذْ أعتَقَهُ، وأعْتَقَ أُمَّهُ، وأُخْتَهُ أُمَامَةَ، وأَهْلَ بَيْتِهِ، وأغْنَاهُ، ويَسَّرَ لَهُ المَدَاخِلَ لِبَنِي أُمَيَّةَ، ومُلُوكِهَا، ومَا كَانَ لِنُصَيْبٍ أنْ يَبْلُغَ هَذا المبْلَغَ العَظِيْمَ، والْمَقَامَ الْجَلِيلَ لَولا يَسَّرَ اللهُ لَهُ عَبدَ العزِيزِ؛ لِذَا لاْ يَسْتَطِيعُ نُصَيبٌ نِسْيانَ هَذَا القَرْحِ الَّذِي أدْمَى كَبِدَهُ بِوَفَاةِ عَبْدِ العزِيزِ، ومَا زَالَ لَهُ وَفِيَّاً، حَتَّى بعْدَ وَفَاةِ ابْنِهِ عُمَرَ، بِعِشْرِيْنَ سَنَةً بَعْدَهُ، فَرَثَاهُ ورَثَى ابْنَهُ مَعَهُ بِقَوْلِهِ(٥٢):

بَكَيْتُ ابْنَ لَيْلَى وابْنَهُ ورَأَيْتَنِي ... أحَقَّ الأُلَى كَانُوْا مَعِي بِبُكَاهُمَا

هُمَا حَذَيَانِي الْخَيْرَ حَتَّى تَشَعَّبَتْ ... غُصُوني بِنَبْتٍ نَاضِرٍ فِي ثَرَاهُمَا

وكُنْتُ أرَى أنِّي إذَا أُبْتُ لَيْلَةً ... مِنَ الدَّهْرِ قَدْ أيْقَنْتُ ألاَّ أرَاهُمَا

سَأَقْضِي فَلَمْ أَفْعَلْ وَلَكِنْ مَنِيَّتِي تَرَاخَى إِنَاهَا بَعْدَ حِينٍ إِنَاهُمَا

كَانَ أَثَرُ وَفَاةِ عَبدِ العزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ، عَلَى نُصَيْبٍ عميقاً جِدًّا فَبَكَاهُ أَكْثَرَ مِنْ عِشْرِينَ عَامًا، وَبَكَى ابْنَهُ مَعَهُ، وَكَانَ يَرَى أَنَّهُ أَحَقُّ النَّاسِ بِبُكَاهُمَا، إِذْ شَبَّ وَتَرَعْرَعَ فِي نَعِيمِهِما، واخْضَرَّتْ غُصُونُهُ، وَأَيْنَعَتْ ثِمَارُهُ، وآتَتْ أُكُلَهَا فِي ثَرَاهُمَا، حَتَّى ظَنَّ أَنَّهُ سَيَمُوتُ إِنْ فَقَدَهُمَا، مِنْ هَوْلِ الخَطْبِ المُلِمِّ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ، لأَنَّ الأَمْرَ لَيْسَ بِيَدِهِ، فَقَدْ تَأَخَّرَ حِينُ مَنِيَّتِهِ عَنْ حِينِ مَنِيَّتِهِمَا

شِعْرُ نُصَيْبٍ فِي بَلَاطِ عُمَرَ بْنِ عبدِ العزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ

هُوَ خَامِسُ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، وُلِدَ بِحُلْوَانَ، وَأَبُوهُ أَمِيرٌ عَلَيْهَا سَنَةَ إِحْدَى وَسِتِّينَ، وَقِيلَ ثَلَاثٍ وسِتِّينَ، وَأُمُّهُ أُمُّ عَاصِمٍ بِنْتُ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ، وَتُوفِّيَ بِدَيْرِ سِمْعَانَ (بِكَسْرِ السِّينِ) مِنْ أَعْمَالِ حِمْصٍ لِعَشْرٍ بَقِينَ، وَقِيلَ لِخَمْسٍ بَقِينَ مِنْ رَجَبٍ سَنَةَ إِحْدَى وَمِائَةٍ، وَلَهُ حِينَئِذٍ تِسْعٌ وَثَلَاثُونَ سَنَةً وسِتَّةُ أَشْهُرٍ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ بِالسُّمِّ(٥٣).

وَلَعَلَّهُ كَانَ بَرًّا بِوَالِدِهِ، فَكَانَ يَصِلُ مَنْ كَانَ يَصِلُهُ أَبُوهُ بِالعَطَايَا، وَمِنْ أُولَئِكَ نُصَيْبٌ الشَّاعِرُ، فَصَارَتْ لَهُ عَادَةً، وَيَقُولُ فِيها نُصَيْبٌ(٥٤):

إِلَيكَ أَبَا حَفْصٍ تَعَسَّفْتُ الفَلَا بِرَحْلِيَ فَتْلَاءُ الذِّرَاعَينِ جَلْعَدُ

تَؤُمُّكَ تَرْجُو العُرْفَ مِنْكَ وتَجْتَدِي نَدَاكَ وَنِعْمَ المُجْتَدَى المتَعَمَّدُ جَرَتْ

عَلَى عَادَةٍ كَانَتْ لَنَا مِنْكَ إِنَّمَا لِلَّذِي كَانَتْ عَلَيْهِ تُعَوَّدُ

وَذَلِكَ كَمَا قَالَ أَبُو الطَّيِّبِ(٥٥):

لِكُلِّ امْرِيءٍ مِنْ دَهْرِهِ مَا تَعَوَّدَا

وَقَالَ نُصَيْبٌ فِيهِ أَيْضاً(٥٦):

الْحَمْدُ لِلَّهِ أمَّا بعْدُ يَا عُمَـرُ فَقَد أتَتْكَ بِنَا الحَاجَاتُ والْقَدَرُ
فَأَنْتَ رَأْسُ قُرَيْشٍ وابْنُ سَيِّدِهَـا والرَّأْسُ فِيْهِ يكُوْنُ السَّمْعُ والبَصَرُ

وفي الديوان فقد أتتنا بك ولعل الصواب ما أثبتنا لاستقامة المعنى عليه.

وَنَرَاهُ هُنَا لاْ يَزَالُ وَفِيًّا لِعَبدِ العزيزِ بْنِ مَرْوَانَ؛ إذْ جَعَلَه سَـيِّدَ قُـرَيْشٍ، وَقَـدْ مَضَـى لِسَبِيلِهِ فَسَادَها ابْنُهُ بَعْدَه. ثُمَّ جَعَلَهُ رَأْسَـهَا بَجِلَّـةِ أَنَّ الـرَّأْسَ بِـهِ السَّـمْعُ والبَصَـرُ، والعُلُوُّ والرِّفْعَةُ.

المبحثُ الثَّالثُ: شِعْرُ نُصَيبٍ فِي بَلَاطِ عَبْـدِ المَلِـكِ بْـنِ مَـرْوَانَ، (وَابْنيـه سُـلَيْمَانَ وهِشامٍ، وَأخيهِ بِشرٍ).

لَيسَ لِنُصَيبٍ أَشْعارٌ كَثِيرَةٌ فِي بَلَاطِ عَبْدِ المَلِكِ بْنِ مَـرْوَانَ، أو رُبَّمـا ضَـاعتْ كمـا ضَاعَ الكَثِيرُ من شعرِهِ، وَإنَّما وَرَدَ فِي ذَلِكَ أَنَّ عَبْدِ المَلِكِ سَـأَلَ نُصَـيباً عَـن رِثَائِـهِ لأَخِيهِ عَبْدِ العزِيزِ، فَأَنشَدَهُ قَولَهُ(٥٧):

عَرَفْتُ وجرَّبْتُ الأُمورَ فَمَا أرَى كَمَاضٍ تَلَاهُ الْغَابِـرُ المُتَأَخِّـرُ

.....الأبيات

وقِصَّةٌ أُخْرَى فِي شِعرِهِ فِي عَبْدِ المَلِكِ، سَنَمُرُّ بِنا عِنْـدَ الحَـدِيثِ عَـن شِـعرِهِ فِـي بَلَاطِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ المَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ.

شِعْرُ نُصَيبٍ فِي بَلَاطِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ المَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ

مِنْ أَشْهَرِ مَمْدُوحِي نُصَيْبٍ بَعْدَ عَبدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَـرْوَانَ، ابْـنُ أَخِيْـهِ (سُـلَيْمَانُ بْـنُ عَبدِ المَلِكِ).

وَقَدْ قَالَ عَنْهُ السُّيُوطِيُّ(٥٨): كَانَ مِنْ خِيَارِ مُلُوكِ بَنِي أُمَيَّةَ، وَلِيَ الْخِلافَةَ بِعَهْدٍ مِنْ أَبِيْهِ بَعْدَ أَخِيْهِ، فِي جُمَادَى الآخِرَةِ سَنَةَ سِتٍّ وتِسْعِيْنَ، وَرَوَى قَلِيْلاً عَنْ أَبِيْهِ، وَعَنْ عَبدِ الرَّحمَنِ بنِ هُبَيْرَةَ، وَرَوَى عَنْهُ ابْنُهُ عَبدُ الْوَاحِدِ، والزُّهْرِيُّ.

وَكَانَ فَصِيْحاً، مُفَوَّهاً، مُؤْثِراً لِلْعَدْلِ، وَمَوْلِدُهُ سَنَةَ سِتِّيْنَ.

ذَكَرَ الزَّجَاجِيُّ(٥٩) وغَيْرُهُ(٦٠) قِصَّةَ مَدْحِ نُصَيْبٍ سُلَيْمَانَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ، بِأَنَّ نُصَيْباً لَمْ يَزَلْ فِي جُمْلَةِ عَبدِ العَزِيْزِ بْنِ مَرْوَانَ إِلَى أَنْ احْتُضِرَ، فأَوْصَى بِهِ سُلَيْمَانَ خَيْراً، فَصَيَّرَهُ فِي جُمْلَةِ سُمَّارِهِ، فَدخَلَ الفَرَزْدَقُ ذاتَ يَوْمٍ عَلَى سُلَيْمَانَ فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا فِرَاسٍ، أَنْشِدْنِي – وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنْ يُنْشِدَهُ مَدِيْحاً فِيْهِ – فَأَنْشَأَ الفَرَزْدَقُ يَقُولُ(٦١):

وَرَكْبٍ كَأَنَّ الرِّيْحَ تَطْلُبُ عِنْدَهُمْ ... لَهَا تِرَةً مِنْ جَذْبِها بالعَصَائِبِ

سَرَوا يَرْكَبُونَ الرِّيحَ وَهْيَ تَلُفُّهُمْ ... إِلى شُعَبِ الأَكْوارِ ذاتِ الْحَقَائِبِ

إِذَا أَبْصَرُوْا نَاراً يَقُوْلُوْنَ: لَيْتَهَا، ... وَقَدْ خَصِرتْ أَيْدِيْهِمُ، نارُ غَالِبِ

فَتَمَعَّرَ سُلَيْمَانُ وارْبَدَّ، لَمَّا ذَكَرَ الفَرَزْدَقُ غَالِباً، حَتَّى رَأَى الحَاضِرُوْنَ الشَّرَّ فِي وَجْهِهِ، فَقَالَ نُصَيْبٌ: أَلا أُنْشِدُكَ عَلَى رَوِيِّهِ مَالاً يُقَصِّرُ عَنْهُ: فَقَالَ: نَعَمْ، فَقَالَ(٦٢):

أَقُولُ لِرَكْبٍ قَافِلِيْنَ لَقِيْتُهُمْ ... فَقَا ذَاتِ أَوْشَالٍ وَمَوْلاكَ قَارِبُ

قِفُوا خَبِّرُونِي عَنْ سُلَيْمَانَ إِنَّنِي ... لِمَعْرُوْفِهِ مِنْ آلِ وَدَّانَ طَالِبُ

فَعَاجُوا فَأَثْنَوْا بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ ... وَلَو سَكَتُوا أَثْنَتْ عَلَيْكَ الحَقَائِبُ

فَقَالُوا تَرَكْنَاهُ وفِي كُلِّ لِيَّةٍ ... يَطِيْفُ بِهِ مِنْ طَالِبِي العُرْفِ رَاكِبُ

وَلَو كَانَ فَوْقَ النَّاسِ حَيٌّ فَعَالُهُ ... كَفِعْلِكَ أَوْ لِلْفِعْلِ مِنْهُ يُقَارِبُ

لَقُلنَا لَهُ شيــئٌ وَلَكِنْ تعــذَّرَتْ سِوَاكَ عَلَى المُستَشْفِعِينَ المَطَالِبُ
هُوَ البَدْرُ والنَّاسُ الكَوَاكِبُ حَوْلَهُ وَهَلْ تُشْبِهُ البَدْرَ المُنِيرَ الكَوَاكِبُ

فَقَالَ سُلَيْمانُ لِلْفَرَزْدَقِ: كَيْفَ تَرَى شِعْرَهُ؟ فَقَالَ: هُوَ أَشْعَرُ أَهْلِ جِلْدَتِهِ. قَالَ سُلَيْمانُ: وَأَهْلِ جِلْدَتِكَ، ثُمَّ قَالَ: يَاغُلامُ أَعْطِ نُصَيْباً خَمْسَمِائَةَ دِينَارٍ، وَلِلفَرَزْدَقِ نَارَ أَبِيهِ(٦٣).

وَخَيْرُ الشِّعْرِ أَشْرَفُهُ رِجَالاً وَشَرُّ الشِّعْرِ مَا قَالَ العَبِيدُ(٦٤)

وَمَعْنَى أَنَّهُ أَشْعَرُ أَهْلِ جِلْدَتِهِ جَاءَ عَلَى أَفْعَلَ التَّفْضِيلِ قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: وَأَفْعَلُ التَّفْضِيلِ يُضَافُ إِلَى نَحْوِ مَا يُضَافُ إِلَيْهِ، وَمِنْ مَعَانِيهَا أَنْ يُرَادَ أَنَّهُ زَائِدٌ عَلَى المضَافِ إِلَيْهِمْ فِي الْخَصْلَةِ الَّتِي هُوَ وَهُمْ فِيهَا شُرَكَاءُ، وَمِنْهُ قَوْلُ مَنْ قَالَ لِنُصَيْبٍ: أَنْتَ أَشْعَرُ أَهْلِ جِلدتك. كَأَنَّهُ قَالَ: أَنْتَ شَاعِرُهُمْ(٦٥).

وَهَذَا القَوْلُ الَّذِيْ ذَهَبَ إِلَيْهِ الفَرَزْدَقُ يُكَذِّبُهُ الْحَقُّ وَالْوَاقِعُ.

وقَدْ جَرَى قَوْلُ نُصَيْبٍ الأَخِيْرُ مَجْرَى الْمَثَلِ كَمَا قَالَ ابْنُ عَرَبْشَاه(٦٦):

وَلَوْ سَكَتُوا أَثْنَتْ عَلَيْكَ الْحَقَائِبُ.

قَالَ الْجَاحِظُ(٦٧): ومَتَى دَلَّ الشَّيءُ عَلَى مَعْنًى فَقَدْ أَخْبَرَ عَنْهُ، وإِنْ كَانَ صَامِتاً، وأَشارَ إِلَيْهِ وإِنْ كَانَ سَاكِتاً، وَهَذَا القَوْلُ شَائِعٌ فِي جَمِيعِ اللُّغَاتِ. وَقَالَ نُصَيْبٌ فِي هَذَا المَعْنَى، يَمْدَحُ سُلَيْمانَ بْنَ عَبدِ المَلِكِ:

أَقُولُ لِرَكْبٍ صَادِرِينَ لَقِيتُهُمْ قِفَاذَاتِ أَوْشَالٍ وَمَوْلاكَ قَارِبُ
قِفُوا خَبِّرُونِي عَنْ سُلَيْمانَ إِنَّنِي لِمَعْرُوفِهِ مِنْ آلِ وَدَّانَ طَالِبُ
فَعَاجُوا فَأَثْنَوْا بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ وَلَوْ سَكَتُوا أَثْنَتْ عَلَيْكَ الْحَقَائِبُ

وَهَذَا كَثِيرٌ جِدًّا.

وَقَالَ القَلْقَشَنْدِيُّ(٦٨) فِي هَذا الْمَقَامِ: وَلَيْسَ شَيْءٌ أَحْوَجَ إِلَى الحِذْقِ، وَلا أَفْقَرَ إِلَى الرِّفْقِ؛ مِنَ الشُّكْرِ النَّافِعِ، والْمَدْحِ النَّاجِعِ؛ الَّذي يَبْقى بَقَاءَ الوَشْمِ، ويَلُوحُ كَمَا يَلُوحُ النَّجْمُ. كَمَا أَنَّهُ لا شَيْءَ أَحْوَجُ إِلى وُسْعِ الطَّاقَةِ، وَإِلَى الفَضْلِ فِي القُوَّةِ، وَإِلَى الْبَسْطَةِ فِي العِلْمِ، وإِلَى تَمَامِ العَزْمِ – مِنَ الصَّبْرِ. وَعَلَى أَنَّ الشُّكْرَ فِي طَبَقَاتٍ مُتَفَاوِتَةٍ، ومَنَازِلَ مُتَبَايِنَةٍ؛ وإِنْ جَمَعَها اسْمٌ، فَلَيْسَ يَجْمَعُهَا حُكْمٌ، فَرُبَّمَا كَانَ كَلاماً تَجِيْشُ بِهِ الصُّدُورُ، وتَمُجُّهُ الأَفْوَاهُ، وتَحْذِفُ بِهِ الأَلْسِنَةُ، ويُسْتَعْمَلُ فِيْهِ الرَّأْيُ المُقْتَضَبُ، والْخَاطِرُ المُحْتَارُ، والكَلامُ المُرْتَجَلُ، فَيُرْمَى بِهِ عَلَى عَوَاهِنِهِ، وتُبْنَى مَصَادِرُه عَلَى غَيْرِ مَوَارِدِهِ، لاَ يَتَعَذَّرُ فِيْهِ الشَّاكِرُونَ لانْتِفَاعِ المُنْعِمِينَ، كَمَا تَعَذَّرَ المُنْعِمُونَ لانْتِفَاعِ الشَّاكِرِيْنَ، ولَيْسَتْ غايَةُ القَائِلِ إِلاَّ أَنْ يُعَدَّ بَلِيغاً مُفَوَّهاً، أَوْ يَسْتَزِيْدَ بِهِ إِلى نِعمِهِ السَّالِفَةِ نِعَمَاً آنِفَةً، أَوَ لَيْسَ إِلا لِيَغْتَرَّ كَرِيْماً، أَوْ يَخْتَدِعَ غَنِيّاً لاَ يَتَفَقَّدُ سَاعَاتِ القَوْلِ، وَلا يَتَعَرَّفُ أَقْدَارَ الْمُسْتَمِعِيْنَ؟ وَلَيْسَ غَايَتُهُ إِلا الْكَسْبَ، والتَّعَرُّضَ وَالانْتِفَاعَ والتَّرَنُّحَ؛ وَعَلَى هَذَا يَدُوْرُ شُكْرُ الْمُسْتَأْكِلِيْنَ، وَإِخمَادُ المتَكَسِّبِيْنَ.

وَهَذَا الْبَابُ وَإِنْ جَعَلَتْهُ الْعَوَامُّ شُكْراً، فَهُوَ بِغَيْرِ الشُّكْرِ أَشْبَهُ، وَبِذَلِكَ أَوْلَى، وَرُبَّمَا كَانَ شُكْرُهُ عَنْ تَأَنُّقٍ وتَذْكِيرٍ، وَعَنْ تَخَيُّرٍ وتَخْيِيْرٍ، وَعَنْ تَفَقُّدٍ لِلْحَالاتِ، وتَحْصِيلٍ لِلأُمُوْرِ فِي الْمَقَامَاتِ الَّتِي تُحِيطُ بِمُهِمِّهِ، فَرُبَّمَا الْتَمَسَ الزِّيَادَةَ فِي غَيْظِهِ، وَرُبَّمَا الْتَمَسَ شِفَاءَ دَائِهِ وإِصْلاحَ قَلْبِهِ، وَنَقْضَ المُبْرَمِ مِنْ مَعَاقِدِ حِقْدِهِ، عَلَى قَدْرِ الرَّدِّ، وعَلَى قَدْرِ تَصَرُّفِ الْحَالاتِ فِي الْمَصْلَحَةِ، لأَنَّ الشَّاكِرَ كالرَّائِدِ لأَهْلِهِ، وكزَعِيْمِ رَهْطِهِ، والمُشَارُ إِلَيْهِ عِندَ مَشُوْرَتِهِ، فرُبَّمَا اخْتَارَ أَنْ يَكُونَ شُكْرُهُ شِعْرَاً؛ لأَنَّ ذَلِكَ أَشْهَرُ، وَرُبَّمَا اخْتَارَ أَنْ يَكُوْنَ كَلامَاً مَنْثُوراً، لأَنَّ ذَلِكَ أَنبَلُ،

وَرُبَّمَا أَظْهَرَ الْيُسْرَ وانْتَحَلَ الثَّرْوَةَ، وجَعَلَ مِنَ الدَّلِيلِ عَلَى ذَلِكَ كَثْرَةَ أَصْدَقِ المَدْحَيْنِ، وأَنْبَلِ الشُّكْرَيْنِ، ويَجْعَلُ قَائِدَهُ إِلَى هَذَا المَذْهَبِ، وَسَابِقَهُ إِلَى هَذَا التَّدْبِيرِ قَوْلَ نُصَيْبٍ:

فَعَاجُوا فَأَثْنَوا بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ وَلَو سَكَتُوا أَثْنَتْ عَلَيْكَ الحَقَائِبُ"

وَقَالَ الْجَاحِظُ (٦٩): وَجُعِلَ البَيَانُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ: لَفْظٌ، وخَطٌّ، وعَقْدٌ، وإِشَارَةٌ.

وَجُعِلَ بَيَانُ الدَّلِيلِ الَّذِي لا يَسْتَدِلُّ تَمْكِينَهُ المُسْتَدِلَّ مِنْ نَفْسِهِ، واقْتِيَادَهُ كُلَّ مَنْ فَكَّرَ فِيهِ إِلَى مَعْرِفَةِ ما استُخْزِنَ مِنَ البُرْهَانِ، وَحُشِيَ مِنَ الدَّلالَةِ، وأُودِعَ مِنْ عَجِيبِ الحِكْمَةِ. فالأَجْسَامُ الخُرْسُ الصَّامِتَةُ، ناطِقَةٌ مِنْ جِهَةِ الدَّلالَةِ، ومُعْرِبَةٌ مِنْ جِهَةِ صِحَّةِ الشَّهَادَةِ، عَلَى أَنَّ الَّذِي فِيهَا مِنَ التَّدْبِيرِ وَالحِكْمَةِ، مُخْبِرٌ لِمَنْ اسْتَخْبَرَهُ، وَنَاطِقٌ لِمَنْ اسْتَنْطَقَهُ، كَمَا خَبَّرَ الْهُزَالُ وكُسُوفُ اللَّوْنِ، عَنْ سُوءِ الْحَالِ، وكَمَا يَنْطِقُ السِّمَنُ وحُسْنُ النَّضْرَةِ، عَنْ حُسْنِ الْحَالِ. وَقَدْ قَالَ الشَّاعِرُ وَهُوَ نُصَيْبٌ:

فَعَاجُوا فَأَثْنَوا بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ وَلَو سَكَتُوا أَثْنَتْ عَلَيكَ الحَقَائِبُ

وَقَالَ آخَرُ:

مَتَى يَكُ فِي عَدوٍّ أَوْ صَدِيقٍ تُخَبِّرْكَ العُيُونُ عَنِ القُلُوبِ

وَقَدْ قَالَ العُكْلِيُّ فِي صِدقِ شَمِّ الذِّئْبِ، وَفِي شِدَّةِ حِسِّهِ واسْتِرْوَاحِهِ:

يَسْتَخْبِرُ الرِّيحَ إِذَا لَمْ يَسْمَعِ بِمِثْلِ مِقْرَاعِ الصَّفَا المُوَقَّعِ

وَقَالَ عَنْتَرَةُ، وَهُوَ يَصِفُ نَعِيبَ غُرَابٍ:

حَرِقُ الْجَنَاحِ كَأَنَّ لَحْيَيْ رَأْسِهِ جَلَمَانِ بالأَخْبَارِ هَشٌّ مُوَلَّعُ

وَلِذَا قَالَ الجُرْجَانِيُّ(٧٠): وَمِمَّا هُوَ فِي غَايَةِ النُّدْرَةِ مِنْ هَذَا البَابِ، مَا صَنَعَهُ الجَاحِظُ بِقَوْلِ نُصَيْبٍ: وَلَو سَكَتُوا أَثْنَتْ عَلَيْكَ الحَقَائِبُ: حِيْنَ نَثَرَهُ، فَقَالَ: وكَتَبَ بِهِ إِلى ابْنِ الزَّيَّاتِ: نَحْنُ أَعَزَّكَ اللهُ، نُسْحَرُ بِالْبَيَانِ، وَنُمَوِّهُ بِالْقَوْلِ، والنَّاسُ يَنْظُرُونَ إِلى الحَالِ، ويَقْضُونَ بِالْعَيَانِ، فَأُثِرَ فِي أَمْرِنَا أَثَراً يَنْطِقُ إِذَا سَكَتَّا، فَإِنَّ المُدَّعِي بِغَيْرِ بَيِّنَةٍ مُتَعَرِّضٌ لِلتَّكْذِيبِ.

ولَعَلَّهُ هو ما أَشَارَ إِلَيْهِ القَلْقَشَنْدِيُّ(٧١) قَائِلاً: وَمَا كَتَبَ بِهِ بَعْضُ الكُتَّابِ فِي فَصْلٍ وَهُو: لوْ سَكَتَ لِسَانِي عَنْ شُكْرِكَ، لَنَطَقَ أَثَرُكَ عَلَيَّ. وفِي فَصْلٍ آخَرَ: وَلَو جَحَدْتُكَ إِحْسَانَكَ، لأَكْذَبَتْنِي آثَارُكَ، ونَمَّتْ عَلَيَّ شَوَاهِدُهَا؛ أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ نُصَيْبٍ: وَلَو سَكَتُوا أَثْنَتْ عَلَيْكَ الحَقَائِبُ.

وَقَالَ الجاحظ: وَأَيْنَ يَقَعُ مَدِيحُ اللِّسَانِ، مِنْ مَدِيحِ آثَارِ الغِنَى عَلَى الإِنسَانِ؟ فاللِّسَانُ قَدْ يَكْذِبُ، والحالُ لا تَكْذِبُ. لله دَرُّ نُصَيْبٍ حَيْثُ يَقُولُ(٧٢):

فَعَاجُوا فأَثْنَوا بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ وَلَو سَكَتُوا أَثْنَتْ عَلَيْكَ الحقَائِبُ

وذَهَبَ الزَّجَاجِيُّ(٧٣) إِلى أَنَّ قَوْلَ نُصَيْبٍ هَذَا مَأْخُوذٌ – كما رَوَى عَنْ أَبِي عَائِمٍ المَعْنَوِيِّ – مِنْ قَوْلِ حَاجِبِ بْنِ زُرَارَةَ بنِ عُدُسٍ:

أَغَرَّكُمُ أَنِّي بِأَحْسَنِ شِيْمَتِي رَفِيقٌ، وأَنِّي بِالفَوَاحِشِ أَخْرَقُ
وَمِثْلِي إِذَا لَمْ يُجْزَ أَحْسَنَ صُنْعِهِ تَكَلَّمُ نُعْمَاهُ بِفِيهِ فتنطِقُ

وَذَهَبَ صَاحِبُ الخِزَانَةِ(٧٤) إِلى أَنَّ قَوْلَ الأَعْشَى:

وإِنَّ عِتَاقَ العِيْسِ سَوْفَ يَزُورُكُمْ ثَنَاءٌ عَلَى أَعْجَازِهِنَّ مُعَلَّقُ

قَالَ: وَقَوْلُهُ: (وَإِنَّ عِتَاقَ العِيْسِ) الخ، هَذَا المعْنَى أَوَّلُ مَنِ اخْتَرَعَهُ الأَعْشَى، وَأَخَذَهُ مَنْ جاءَ بعْدَهُ، قَالَ القُطَامِيُّ:

لأُعَلِّقَنَّ عَلَى المطِيِّ قَصَائِدَاً أَذَرُ الرُّواةَ بِهَا طَوِيلَ المَنْطِقِ

وقَالَ نُصَيْبٌ:

فَعَاجُوا فأَثْنَوا بالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ ولَو سَكَتُوا أَثْنَتْ عَلَيْكَ الحقَائِبُ

ومِنْ هُنا أَخَذَ أَبُو العَتَاهِيَةِ قَوْلَهُ(٧٥):

فإذا وَرَدْنَ بِنَا وَرَدْنَ خَفَائِفاً وإِذَا صَدَرْنَ بِنَا صَدَرْنَ ثِقَالا

ولِذَا قَالَ القَيْرَوَانِيُّ(٧٦): وَإِنما أَلَمَّ أَبُو العَتَاهِيَةِ بِقَوْلِ نُصَيْبٍ الأَكْبَرِ. وقَالَ أَبُو الطَّيِّبِ فِي أَبِي العَشَائِرِ الحَمْدَانِيِّ:

تَنْشِدُ أَثْوَابُنَا مَدَائِحَهُ بِأَلْسُنٍ مَا لَهُنَّ أَفْوَاهُ

إذا مَرَرْنَا عَلَى الأَصمِّ بِهَا أَغْنَتْهُ عَنْ مَسْمَعَيْهِ عَيْنَاهُ

وَقَدْ جَعَلَ ثَعْلَبٌ(٧٧) بَيْتَ نُصَيْبٍ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى الإِيمَاءِ الَّذِي يَقُومُ مَقَامَ التَّصْرِيحِ لِمَنْ يُحْسِنُ فَهْمَهُ واستِنْباطَهُ، ثُمَّ أَوْرَدَهُ بَعْدَ عِدَّةِ أَمْثِلَةٍ مِنْهَا قَوْلُ امْرِئِ القَيسِ:

يُبْكَى عَلَيْنَا وَلا نَبْكِي عَلَى أَحَدٍ لَنَحْنُ أَغْلَظُ أَكْبَاداً مِنَ الإِبِلِ

وكَقَوْلِ مُهَلْهِلِ بْنِ رَبِيْعَةَ:

وإِنِّي لأَسْتَحْيِي أَخِي أَنْ أَرَى لَهُ عَلَيَّ مِنَ الفَضْلِ الَّذِي لاْ يَرَى لِيا

يُرِيْدُ أَنْ أَرَى لَهُ نِعْمَةً عَلَيَّ لاْ يَرَى لِي مِثْلَهَا عَلَيْهِ.

وكَقَوْلِ الأَعْرَابِيِّ:

وقد جَعَلَ الوسْمِيُّ يُنْبِتُ بَيْنَنَا وبَيْنَ بَنِي رُوْمَانَ نَبْعاً وَشَوْحَطا

يُرِيْدُ التَّغَالُبَ عَلَى المَاءِ والكَلأِ.

وكَقَولِ عُرْوَةَ بْنِ الْوَرْدِ:

أُقَسِّمُ جِسْمِي فِي جُسُومٍ كثِيرَةٍ وأَحْسُو قَرَاحَ المَاءِ والمَاءُ بَارِدُ

وكَقَولِ نُصَيْبٍ فِي سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ:

فَعَاجُوا فَأَثْنَوا بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ وَلَو سَكَتُوا أَثْنَتْ عَلَيْكَ الحَقَائِبُ

وقَالَ ابنُ هِشَامٍ فِي المعْنَى نَفْسِهِ(٧٨): قال عُمَرُ بنُ أَبِي رَبِيْعَةَ:

أَشَارَتْ بِطَرْفِ العَيْنِ خِيفَةَ أَهْلِهَا إِشَارَةَ مَحْزُونٍ وَلَمْ تَتَكَلَّمِ

فأَيْقَنْتُ أَنَّ الطَّرْفَ قَدْ قَالَ مَرْحَباً وأَهْلاً وسَهْلاً بالحَبِيْبِ المتَيَّمِ

فإنَّمَا نَفَى الكَلامَ اللَّفْظِيَّ، لاَ مُطْلَقَ الكَلامِ، ولَو أَرَادَ بِقَوْلِهِ: (وَلَمْ تَتَكَلَّمِ) نَفْيَ غَيْرِ الكَلامِ اللَّفْظِيِّ لانْتَقَضَ بِقَوْلِهِ: (فَأَيْقَنْتُ أَنَّ الطَّرْفَ قَدْ قَالَ مَرْحَباً)؛ لأَنَّهُ أَثْبَتَ لِلطَّرْفِ قَوْلاً، بَعْدَ أَنْ نَفَى الكَلامَ، والمُرَادُ نَفْيُ الكَلامِ اللَّفْظِيِّ، وإِثْبَاتُ الكَلامِ اللُّغَوِيِّ.

والدَّلِيلُ عَلَيْهِ فِيمَا نَطَقَ بِهِ لِسَانُ الْحَالِ قَوْلُ نُصَيْبٍ:

فعاجُوا فأَثْنَوا بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ وَلَو سَكَتُوا أَثْنَتْ عَلَيْكَ الحَقَائِبُ

وعَلَّقَ عَلَيْهِ مُحَمَّدُ مُحِيِي الدِّينِ قَائِلاً(٧٩): الشَّاهِدُ فِيهِ قَوْلُهُ: (أَثْنَتْ عَلَيْكَ الحَقَائِبُ)، فَإِنَّهُ قَدْ أَثْبَتَ لِلحَقَائِبِ ثَنَاءً، وَهُوَ كَلامٌ، وَلا شَكَّ أَنَّ الحَقَائِبَ لاَ تَتَكَلَّمُ بِلِسَانِ المقَالِ، وإِنَّمَا كَلامُهَا بِلِسَانِ الْحَالِ، والمُرَادُ أَنَّ مَا فِي الْحَقَائِبِ يُحَدِّثُ بِلِسَانِ الْحَالِ عَنْ جُوْدِكَ وكَرَمِكَ؛ إِذَا سَكَتَ المُعْطُوْنَ والمُكْرَمُوْنَ.

وقَالَ أَبُو عَلِيٍّ الفارِسِيُّ(٨٠): أَنْشَدَ مُحَمَّدُ بنُ السَّرِيِّ، لِنُصَيْبٍ:

وقَالُوا عَهِدْنَاهُ وَفِي كُلِّ لَيْلَةٍ يَحُلُّ بِهِ مِنْ طَالِبِ العُرْفِ رَاكِبُ

يَحْتَمِلُ قَوْلُهُ: (مِنْ طِالِبِ الْعُرْفِ) أَمْرَيْنِ، أَحَدُهُمَا: أَنْ يَكُونَ أَرَادَ الجَمْعَ فَحَذَفَ الياءَ، لالتِقَاءِ السَّاكِنَيْنِ، مِثْلُ: (مُحِلِّي الصَّيْدِ) ويَكُونُ (الرَّاكِبُ) بَعْضَ الجُمْلَةِ، كَمَا تَقُولُ: يَحُلُّ بِهِ مِنَ المُعْتَفِيْنَ نَاسٌ، والمَعْنَى: فَرِيقٌ رَاكِبٌ، أَوْ قَبِيلٌ رَاكِبٌ، والآخَرُ: أَنْ يَكُونَ الرَّاكِبُ هُوَ الطَّالِبُ، كَمَا تَقُولُ: تَلْقَى مِنْ زَيْدٍ الأَسَدَ، وتَلْقَى بِعَمْرٍو شُجَاعاً وَعَالِماً.

و: يأبَى الظُّلامَةَ مِنْهُ النَّوفَلُ الزُّفَرُ

ويَكُونُ (طَالِبُ العُرْفِ) اسْمَ الْجِنْسِ، فَلا يَكُونُ وَاحِداً، ولَكِنْ كَمَا أَنْشَدَهُ أَبُوزَيْدٍ مِنْ قَوْلِ الرَّاجِزِ:

إِنْ تَبْخَلِي يَاجُمْلُ أَوْ تَعْتَلِّي أَوْ تُصْبِحِي فِي الظَّاعِنِ المُوَلِّي

وكَمَا تَقُولُ: نِعْمَ الرَّجُلُ، ونِعْمَ غُلامُ الرَّجُلِ، وَفِي التَّنْزِيلِ: (وإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لا تُحْصُوْهَا) ويَكُونُ أَفْرَدَ (رَاكِباً) لَمَّا كَانَ الأَوَّلُ فِي المَعْنَى، وإِنْ كَانَ المُرَادُ بِهِ الكَثْرَةَ لأَنَّ الأَوَّلَ أَيْضاً عَلَى لَفْظِ الواحِدِ، وَقَدْ جَاءَ المُفْرَدُ فِي الإِيْجَابِ يُرَادُ بِهِ الكَثْرَةَ.

أَمَّا أَبُو هِلالٍ العَسْكَرِيُّ(٨١) فَيَرَى أَنَّ شِعْرَ الفَرَزْدَقِ أَحْسَنُ وأَجْوَدُ، وأَكْثَرُ ماءً، وطَلاوَةً، وأَبْيَنُ بَلاغَةً، وفَصَاحَةً، ولَكِنَّهُ مُفَارِقٌ لِحُسْنِ الأَدَبِ، ولِمَا يُوْجِبُهُ العَقْلُ؛ لأَنَّ العَاقِلَ لا يفْتَخِرُ بِحَضْرَةِ السُّلْطَانِ، وَلا يَمْدَحُ نَفْسَهُ عِنْدَ المُلُوكِ، وأَعْقَلُ النَّاسِ أَخْضَعُهُم لِلسُّلْطَانِ، والكِبْرُ عَلَيْهِ هَلَكَةٌ.

وأما قَوْلُ نُصَيْبٍ(٨٢)

ولَو كانَ فَوقَ النَّاسِ حَيٌّ كَفِعْلِكَ أَوْ لِلفِعْلِ مِنْهُ يُقَارِبُ

فَعَالُهُ لَقُلْنَا لَهُ شِيْمَةٌ ولَكِنْ تَعَذَّرَتْ سِوَاكَ عَلَى المُسْتَشْفِعِينَ المطالِبُ

فكأنَّما أرَادَ بِهِ عبدَ العَزِيزِ بْنَ مَرْوَانَ، مَوْلاهُ، الَّذِي ظَلَّ لَـهُ وَفِيـاً مُـدَّةَ حَيَاتِـهِ؛ لـذا لَمْ يستثنِ مِنَ الأحياءِ أحداً، فِي تَفْضِـيلِ سُـلَيْمَانَ وَخَصَّـهُمْ بالـذِّكْرِ دُوْنَ الأمْـوَاتِ لأنَّ فِي الآخَرِينَ عَبْدَ العَزِيزِ بْنَ مَـرْوَانَ. وكأنَّمَـا أرَادَ أنْ يَقُـولَ لَـهُ: فَقَـد انْعَـدَمَ أشْبَاهُهُ، وَأضْرابُهُ مِنَ الأجْوَادِ بَعْدَ ذَهَابِ عبدِ العزيزِ، فَبَقِـيَ فَـرْداً، لَـيْسَ لَـهُ أحَـدٌ يُشاكِلُهُ، أوْ يُقَارِبُهُ.

ونَحْوُه قَوْلُ المُتَنَبِّي:

فِدًى لَكَ مَنْ يُقَصِّرُ عَنْ مَدَاكا ... وَلا مَلِكٌ إذنْ إلا فَدَاكا

وَقِيلَ إنَّ نُصَيْباً أخَذَ قَوْلَهُ:

هُوَ البَدْرُ والنَّاسُ الكَوَاكِبُ حَوْلَهُ ... وَهَلْ تُشْبِهُ البَدْرَ المُنِيْرَ الكَوَاكِبُ

مِنَ النَّابِغَةِ فِي قَوْلِهِ:

أَلَمْ تَرَ أنَّ اللهَ أعْطَاكَ سُورَةً ... تَرَى كُلَّ مَلْكٍ دُوْنَهَا يَتَذَبْذَبُ

بِأنَّكَ شَمْسٌ وَالْمُلُوكُ كَوَاكِبٌ ... إذَا طَلَعَتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهُنَّ كَوْكَبُ

قَالَ أبُو ذَكْوَانَ: وَمَا رَأيْتُ أعْلَمَ بالشِّعْرِ مِنْهُ. ثُمَّ قَالَ: لَـوْ أرَادَ كَاتِـبٌ بَلِيْـغٌ أنْ يَنْثُـرَ مِنْ هذِهِ الْمَعَانِي مَا نَظَمَهُ النَّابِغَةُ مَـا جَـاءَ بِـهِ إلا فِـي أضْـعَافِ كَلامِـهِ، وَكَـانَ يُفَضِّلُ هَذَا الشِّعْرَ عَلَى جَمِيْعِ أشْعَارِ النَّاسِ.

وَقَدْ سَبَقَ النَّابِغَةَ إلَى هَذَا الْمَعْنَى بَعْضُ شُعَراءِ كِنْدَةَ، فَقَالَ يَمْدَحُ عَمْرَو بْنَ هِنْدٍ:

تَكَادُ تَمِيْدُ الأرْضُ بِالنَّاسِ إنْ رَأوْا ... لِعَمْرِو بْنِ هِنْدٍ غَضْبَةً وَهْوَ عَاتِبُ

هُوَ الشَّمْسُ وافَتْ يَوْمَ سَعْدٍ فَأفْضَلَتْ ... عَلَى كُلِّ ضَوءٍ وَالْمُلُوكُ كَوَاكِبُ(٨٣).

شِعْرُ نُصَيبٍ فِي بَلَاطِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ المَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ

هُوَ هِشامُ بنُ عَبْدِ المَلِكِ أبُو الوليدِ، وُلِدَ سَنَةَ نَيِّفٍ وسَبْعِينَ، واستُخْلِفَ بعَهْدٍ مِنْ أخِيهِ يَزِيدَ، وكَانَ حَازِماً عاقِلاً، كانَ لاَ يُدْخِلُ بَيْتَ مَالِهِ مَالاً حَتَّى يَشْهدَ أرْبَعُون قَسامَةً، لَقَدْ أخَذَ مِنْ حقِّهِ، ولَقَدْ أعْطَى لِكُلِّ ذِي حَقٍّ حقَّهُ(٨٤).

وكَانَ نُصَيبٌ يَمْدَحُهُ بَعْدَ وَفَاةِ عُمَرَ بْنِ عَبدِ العزِيزِ، وقَدْ دَخَلَ عَلَيْهِ فأنْشَدَهُ قَصِيدَتَهُ الَّتي يَعْتَذِرُ فِيهَا عَنْ تَأَخُّرِهِ عَنْ زِيَارَتِهِ، فَقَالَ(٨٥):

حَلَفْتُ بِمَنْ حَجَّتْ قُرَيْشٌ لِبَيْتِهِ ... وَأَهدَتْ لَهُ بُدْناً عَلَيْهَا القَلَائِدُ

لَئِنْ كُنْتُ طَالَتْ غَيْبَتِي عَنْكَ إنَّنِي ... بِمَبْلَغِ حَوْلِي فِي رِضَاكَ لَجَاهِدُ

ولكِنَّنِي قَدْ طَالَ سُقْمِي وَأكْتَرَتْ ... عَلَيَّ العِهَادَ المُشْفِقَاتُ العَوَائِدُ

صَرِيعُ فِرَاشٍ لاَ يَزَلْنَ يُقُلْنَ لِي ... بِنُصْحٍ وإشْفَاقٍ مَتَى أنْتَ قَاعِدُ؟

فَلَمَّا زَجَرْتُ العِيسَ أسْرَتْ بِحَاجَتِي ... إلَيْكَ وَذَلَّتْ لِلَّسَانِ القَصَائِدُ

وإنِّي فَلَا تَسْتَبْطِنِي بِمَوَدَّتِي ... ونُصْحِي وَإشْفَاقِي إلَيْكَ لَعَامِدُ

فَلا تُقْصِنِي حَتَّى أكُونَ بِصَرْعَةٍ ... فَيَيْأسَ ذُو قُرْبَى وَيَشْمَتَ حَاسِدُ

أَنِلْنِي وقَرِّبْنِي فَإنِّيَ بَالِغٌ ... رِضَاكَ بِعَفْوٍ مِنْ نَدَاكَ وَزَائِدُ

أبِتْ نَائِماً أمَّا فُؤَادِي فَهَمُّهُ ... قَلِيلٌ، وَأمَّا مَسُّ جِلْدِي فَبَارِدُ

وَقَدْ كَانَ لِي مِنْكُمْ إذَا مَا لَقِيتُكُمْ ... لَيَانٌ ومَعْرُوفٌ وَالْخَيْرِ قَائِدُ

إلَيْكَ رَحَلْتُ العِيسَ حَتَّى كأنَّهَا ... قِسِيُّ السُّرَى ذَبَّلَى بَرَتْهَا الطَّرَائِدُ

وحَتَّى هَوَادِيهَا دِقَاقٌ وشَكْوُهَا ... صَرِيفٌ وَبَاقِي النِّقْيِ مِنْهَا شَرَائِدُ

وحَتَّى دَنَتْ ذَاتُ المُرَاحِ وأذعَنَتْ ... إلَيْكَ وَكَلَّ الرَّاسِمَاتُ الحَوَافِدُ

يَبْدُو واضِحاً صِدْقُ الشَّاعِرِ؛ مِنْ خِلالِ شِعْرِهِ، ولَهْجَتِهِ المباشِرَةِ، بِنَفَسٍ واحِدٍ في جَمِيعِ قَصَائِدِه، فافتَتَحَ قَصِيدَتَهُ بالقَسَمِ، وخَصَّ قُرَيْشاً؛ لأَنَهَا رَأْسُ العَرَبِ، ومِنْهَا المَمْدُوحُ، ثُمَّ ذَكَرَ بَعْضَ شَعَائِرِ الحَجِّ، وَذَلِكَ لِيَعْتَذِرَ عَنْ غِيابِهِ عَنْهُ؛ بِسَبَبِ مَرَضِهِ، وَطُولِ مُلازَمَتِهِ الفِرَاشَ، حَتَّى أَشْفَقَتْ عَوَائِدُهُ عَلَيْهِ، وخَشِينَ هَلاكَهُ فاستَفْهَمْنَهُ مَتَى هُوَ قَاعِدٌ! أَيْ إِلَى مَتَى؟ ولَكِنَّه مَا ذَاقَ طَعْماً لِلْعَافِيَةِ إِلا وَزَجَرَ رِكابَهُ إِلَى الْمَمْدُوحِ، وخَضَعَتِ القَصَائِدُ لِلِسَانِهِ، ثُمَّ أَنْبَأَهُ بِأَنَّ مَوَدَّتَهُ بَاقِيَةٌ فِي فُؤَادِهِ، فَعَلَى المَمْدُوحِ أَنْ يَكونَ حَرِيصاً عَلَى مَوَدَّتِه مِثْلَهُ، وَلا يَتَغَيَّرُ بِغِيَابِهِ عَنْهُ، بِحِفْظِ مَكانِهِ مِنَ الرِّضَا والقُرْبَى؛ حَتَّى لا يُشمِتَ عَلَيْهِ الحَاسِدِينَ، فحِينَئِذٍ يَنَامُ، هَانِيءَ الْبَالِ، قَلِيلَ الهَمِّ، ويَعُودُ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ حُسْنِ اللُّقْيَا، وطِيبِ الحَدِيثِ؛ لِذَلِكَ حَثَّ إِبِلَهُ إِلَيْهِ، حَتَّى بَرَتْهَا السُّرَى، وأَنْهَكَهَا السَّيرُ، كَأَنَّهَا القِسِيُّ الذَّابِلَةُ.

وفِي مَجْلِسِ هِشامٍ يَشْتَفِي نُصَيبٌ مِنْ مَظَالِمِهِ الَّتِي ظُلِمَهَا، فَفِي مَرَّةٍ مَدَحَ عبدَ الرَّحمنِ بْنَ الضَّحَّاكِ بْنِ قَيْسٍ الفِهْرِيَّ، فَأَمَرَ لَهُ بِعَشْرِ قَلائِصَ، وكَتَبَ بِهَا إِلَى رَجُلَيْنِ مَخْتُوماً فقَرَأَهُ، وَقَالا قَدْ أَمَرَ لَكَ بِثَمانِ قَلائِصَ، وَدَفَعَا ذَلِكَ إِلَيْهِ، ثُمَّ عُزِلَ عَبدُ الرَّحْمنِ، وَوُلِّيَ مكانَهُ رَجُلٌ من بَنِي نَصْرِ بْنِ هَوازِنَ، فَأَمَرَ بِأَنْ يُتَتَبَّع مَا أَعْطَى الضَّحاكُ ويُرْتَجَعَ، فَوَجَدَ باسْمِ نُصَيْبٍ عَشْرَ قَلائِصَ، فَأَمَرَ بمُطالَبَتِهِ بِهَا، فَأَدَّى ثَمَنَ عَشْرٍ مُكْرَهاً، وَذَكَرَ ذَلِكَ لِهِشَامٍ فِي لَيْلَةِ سَمَرٍ عِنْدَهُ فَأَنْشَدَهُ مَا نَظَمَ فِي ذَلِكَ(٨٦):

أَفِي قَلائِصَ جُرْبٍ كُنَّ مِنْ عَمَلٍ ... أُرْدَى وَتُنْزَعُ مِنْ أَحْشَائِيَ الكَبِدُ
ثَمَانِياً كُنَّ فِي أَهْلِي وعِنْدَهُمُ ... عَشْرٌ فَأَيَّ كِتَابٍ بَعْدَنَا وَجَدُوا

أخـانَني أخَـوَا الأنْصَـارِ فَانْتَقَصَـا مِنْهَا فَعِنْدَهُمَا الفَقْدُ الَّذِي فَقَـدُوا
وَإِنَّ عَامِلَكَ النَّصْرِيَّ كَلَّفَنِـي فِي غَيْرِ نَاشِرَةٍ دَيْنَاً لَـهُ صَعَـدُ
أَذْنَبْ غَيْرِي وَلَمْ أُذْنِبْ- يُكَلِّفُنِي؟ أَمْ كَيْفَ أُقْتَلُ لاْ عَقْلٌ وَلاْ قَـوَدُ

فَقَالَ هِشَامٌ: لا جَرَمَ، واللهِ لا يَعْمَلُ لِيَ النَّصْـرِيُّ عَمَـلاً أَبَـدَاً، فكَتَـبَ بعَزْلِـهِ عَـنِ الْمدِينَةِ. فِي هَذِهِ القِصَّةِ، استَطَاعَ الشَّاعِرُ مِن الانتِصَـافِ مِـنْ ظَالِمِـهِ، الَّـذِي نَـزَعَ مِنْهُ إِبِلَهُ، فَتَسَبَّبَ فِي عَزْلِهِ، فصَوَّرَ غَيْظَهُ بِصُـورَةٍ مَنْطِقِيَّـةٍ، لاْ تَخْلُـو مِـنْ سَـرْدٍ لِلْحَقَائِقِ، فانْتَصَفَ لِنَفْسِهِ.

وَرُوِيَ عَنْ إِسْحَاقَ بنِ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: بَلَغَنِي أَنَّ نُصَـيْباً كَـانَ إِمَّـا قَـدِمَ عَلَـى هِشَـامٍ أَخْلَى لَهُ مَجلِساً، واسْتَنْشَدَهُ مَرَاثِيَ أَبِيْهِ وَبَكَى مَعَـهُ فأَنْشَـدَهُ يَوْمـاً مَـدِيْحاً لَـهُ فِـي قَصِيْدَةٍ طوِيْلَةٍ، يَقُولُ فِيْهَا:

إِذَا اسْتَبَقَ النَّاسُ العُلا سَبَقَتْهُمُ يَمِينُكَ عَفْواً ثُمَّ صلَّتْ شِمَالُكَا

فَقَالَ لَهُ هِشَامٌ: بَلَغْتَ غَايَةَ المَدْحِ فَسَلْنِي أُعْطِـكَ، قَـالَ: يَـا أَمِيْـرَ المُـؤْمِنِيْنَ، يَـدُكَ بالعَطِيَّةِ أَطْلَقُ وأَجْوَدُ وأَبْسَطُ مِنْ لِسَانِي بالمسْـأَلَةِ، فـأَمَرَ لَـهُ بِخَمْسِـيْنَ أَلْفـاً، وَمَـا أَجَازَ هِشَامٌ بِهَا أَحَدَاً قطُّ.

وَهَذَا الْخَبرُ يُعَضِّدُ ما ذَهَبْنَا إِلَيْهِ آنِفَاً، منْ أَنَّ شِعْرَ نُصَـيْبٍ، قَـدْ تَعَـرَّضَ للضَّـيَاعِ، بِآيَةِ أَنَّ هَذِهِ القَصِيْدَةَ الجَيِّدَةَ، لَـمْ نَظْفَـرْ مِنْهَـا إلاَّ بِهَـذا البَيْـتِ – وَهِـيَ طَوِيْلَـةٌ– وَكَلِمَةُ مَرَاثِي، أَبِيهِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ لَهُ قَصَائِدَ كَثِيـرَةً فِـي عَبْـدِ الْمَلِـكِ بْـنِ مَـرْوَانَ، ولَعَلَّهَا ضَاعَتْ مَعَ جُمْلَةِ مَا ضَاعَ مِنْ شِعْرِهِ، وقَـدْ جَعَـلَ مَمْدُوْحَـهُ السَّـابِقَ، وَهُـوَ الَّذِي يكُوْنُ أَوَّلاً، والمُصَلِّي الَّذِي يَكُون بَعْدَهُ، أَيْ هُوَ الحـائِزُ عَلَـى كُـلِّ الـدَّرَجَاتِ العُلا، فِي الْمجْدِ والكَرَمِ، ونَحوُهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ:

إنْ تُبْتَدَرْ غَايَةٌ يَوْماً لمكْرُمَةٍ تَلْقَ السَّوابِقَ مِنَّا والمُصَلِّيْنَا

وقَولُ الآخَرِ:

إِذَا مَارَايَةٌ رُفِعَتْ لَمَجْـــدٍ تَلَقَّاهَا عَرَابَةُ بالْيَمِيْـــنِ

شِعْرُ نُصَيْبٍ فِي بَلَاطِ بِشْرِ بْنِ مَرْوَانَ:

قَالَ عَنْهُ نُصَيْبٌ(٨٧):

يَا بِشْرُ يَا ابْنَ الجَعْفَرِيَّةِ مَا خَلَقَ الإِلَهُ يَدَيْكَ لِلْبُخْـلِ

جَاءَتْ بِهِ عُجُزٌ مُقَابَلَـةٌ مَا هُنَّ مِنْ جَرْمٍ وَلا عُكْلِ

وَذَلِكَ لَمَّا أَرَادَ الدُّخُولَ إِلَيْهِ، فَلَـمْ يستَطِعْ، وخَـرَجَ بِشْـرُ بْـنُ مَـرْوَان مُتَنَزِّهـاً، فَعَارَضَهُ، فَلَمَّا نَاكَبَهُ – أَيْ صَارَ حِـذَاء مَنْكِبِـهِ – نَـادَاهُ بِـالْبَيْتَيْنِ فَـأَمَرَ لَـهُ بِشْـرٌ بِعَشْرَةِ آلافِ دِرْهَمٍ.

والجَعْفَرِيَّةُ الَّتِي عَنَاهَا نُصَيْبٌ: هِيَ أُمُّ بِشْرِ بْنِ مَرْوَانَ، وَهِيَ قُطَّيَّـةُ بِنْـتُ بِشْـرِ بْـنِ عَامِرِ مُلاعِبِ الأَسِنَّةِ بْنِ مَالِكِ بن جَعْفَرِ بْنِ كِلابٍ(٨٨).

خُلاصَةُ الْبَحْثِ:

هَذَا الْبَحْثُ في شِعرِ الشاعِرِ النُّوبِي نُصَيبِ بْـنِ رَبَـاحٍ، مَـولَى عَبْـدِ الْعَزِيـزِ بْـنِ مَرْوَانَ، الذي أَنْشَدَهُ فِي بَلاطِ وُلاةِ بَنِي أُمَيَّـةَ، بِدايَـةً مِـنْ عَبْـدِ الْعَزِيـزِ، وَمُـرُوراً بابْنِهِ عُمَرَ، وابْنَي أَخِيـهِ عَبْـدِ الْمَلِـكِ: سُـلَيمَانَ، وهِشَـامٍ، وَعَبْـدِ الْمَلِـكِ نَفْسِـهِ، وَغَيرِهِمْ.

وَلَقَدْ انْتَهَيْتُ فِي بَحْثِي إِلَى الآتِي:

١/ إِنَّ مُعْظَمَ شِعْرِ نُصَيْبٍ أُصَابَهُ الضَّيَاعُ، فَتَجِدُ فِي المَصَادِرِ أَنَّهُ مَدَحَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَعْفَرَ، فَأَعْطَاهُ كَذَا مِنَ المَالِ، وَلَكِنَّكَ لاَ تَجِدُ القَصِيْدَةَ نَفْسَهَا، وَأَنَّهُ مَدَحَ هِشَامَ بْنَ عَبْدِ المَلِكِ بِقَصِيْدَةٍ طَوِيلَةٍ مِنْهَا قَوْلُهُ:

إِذَا اسْتَبَقَ النَّاسُ الْعُلا سَبَقَتْهُمُ يَمِينُكَ عَفْواً ثُمَّ صَلَّتْ شِمَالُكَا

وَلَكِنَّكَ لاَ تَجِدُ مِنْهَا غَيْرَ هَذَا البَيْتِ، وَهَكَذَا ضَاعَ شِعْرُهُ، وَرُبَّمَا كَانَ مُتَعَمَّداً، لأَنَّ غَيْرَهُ مِنْ أَمْثَالِهِ مِنَ الفُحُولِ لَمْ يَضِعْ شِعْرُهُمْ.

٢/ إِضَافَةً إِلَى ذَلِكَ اضْطِرَابُ الرِّوَايَةِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الأَبْيَاتِ، وَاخْتِلافُ نِسْبَتِهَا لَهُ أو لِغَيْرِهِ، وَتَفَتُّتُ شِعْرِهِ مِنْ خِلاَلِ ذَلِكَ، فَتَجِدُ أَبْيَاتاً مُتَفَرِّقَةً، وَهِيَ مِنْ بَحْرٍ وَاحِدٍ، وَقَافِيَةٍ وَاحِدَةٍ، وَرُبَّمَا غَرَضٍ وَاحِدٍ أَيضاً، وَلَكِنْ تَجِدُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهَا فِي جِهَةٍ، والأَوْلَى أَنْ تَكُونَ قَصِيْدَةً وَاحِدَةً.

٣/ تميَّزَ شِعْرُهُ بِالعُذُوبَةِ والسَّلاسَةِ، وَالجَزَالَةِ؛ لِذَا كَانَ مُسْتَحْسَناً. وَيَكْفِيكَ شَاهِداً رَائِيَّتُهُ فِي عَبْدِ العَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ.

٤/ شِعْرُه فِي الطَّبَقَةِ الأُولَى مِنْ شُعَرَاءِ عَصْرِهِ، بِدَلِيلِ حَسَدِ أَكَابِرِ شُعَرَاءِ عَصْرِهِ لَهُ، وَوَصْفِهِمْ لَهُ بِأَنَّهُ أَشْعَرُ أَهْلِ جِلْدَتِهِ، وَقَدْ تَسَبَّبَ فِي هَزِيْمَةِ الفَرَزْدَقِ فِي مَجْلِسِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ المَلِكِ، وَمِنْ أَدَلِّ الأَشْيَاءِ عَلَى جَوْدَةِ شِعْرِهِ اصْطِفَاءُ الخُلَفَاءِ لَهُ، وهُمْ مِمَّنْ يُمَيِّزُوْنَ عَذْبَ الشِّعْرِ.

٥/ يَحْتَاجُ دِيوَانُ نُصَيْبٍ لِمَزِيْدٍ مِنَ الدِّرَاسَةِ مِنْ نَاحِيَةِ التَّحْقِيقِ، وَمِنْ نَاحِيَةِ الشَّوَاهِدِ اللُّغَوِيَّةِ، والنَّحْوِيَّةِ، وَمِنْ حَيْثُ الصُّوَرُ البَلاَغِيَّةُ، وَمَا تَمَيَّزَ بِهِ مِنْ حُسْنِ التَّشْبِيْهِ، وجَوْدَةِ الكِنَايَةِ، وابْتِدَاعِ التَّصْوِيْرِ، وَيُمْكِنُ دِرَاسَةُ المَوْضُوعَاتِ الَّتِي طَرَقَهَا، كَالمَدْحِ وَالغَزَلِ، وَقَدْ قَصَرَ مُعْظَمَ شِعْرِهُ عَلَيْهِمَا.

فهارس البحث:

١- أبو الفرج الأصفهاني ٣١٢/١.
٢- الأصفهاني ٣١٢/١-٣١٤.
٣- الزَّجاج ص ٣٢.
٤- نفس المصدر ص ٣٢.
٥- الدماميني بدر الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر العيون الغامزة على خبايا الرامزة، ص ٢٧٢.
٦- نفس المصدر ص ٢٤٥.
٧- نفس المصدر ص ٢٦٢.
٨- الأصفهاني ٣٤٢/١.
٩- ياسين الأيوبي ص ٣٥٩، الذهبي سير أعلام النبلاء ٢٦٧/٥، الزركلي ٣١/٨.
١٠- أبو الفرج المعافي زكريا النهرواني الجريري، الجليس الصالح الكافي، والأنيس الناصح الشافي، ج٤/ ص ٣٨.
١١- السيوطي – المزهر ٤٨٢/٢.
١٢- نفس المصدر ٤٧٩/٢.
١٣- ابن سلام – طبقات فحول الشعراء ٤٠٨/٢ – ٤٠٩.
١٤- نفس المصدر ٦٤٨/٢.
١٥- السُّيُوطيُّ، حُسنُ المُحاضرَةَ في أخْبارِ مِصْرَ والْقَاهِرَة، ص ٢١٦.
١٦- شِعْر نُصَيبِ بْنِ رَبَاحٍ ص ٩٩.
١٧- أبو تَمَّام، الوَحْشِيَّات (وهُوَ الحماسَةُ الصُغْرى)، ص ٢٦٠.
١٨- البخلاء، ج٢/ ٢١٥ – ٢١٦.

١٩- أمالي الزَّجاجيِّ ص ٤٥ – ٤٦.
٢٠- دلائل الإعجاز، ص ٣٠٩.
٢١- نفس المصدر.
٢٢- ديوانه ص ١٥.
٢٣- البيان والتبيين، ج١/١٦٨.
٢٤- نفس المصدر.
٢٥- ديوانه ص ٢٣٧.
٢٦- الآمدي: الموازنة بين شعر أبي تَمَّامٍ والبُحْتُرِيّ، ج١/٤٢٤.
٢٧- نفس المصدر ج١/٤٢٣.
٢٨- الموازنة ج١/٤٢٦.
٢٩- شِعْر نُصَيبِ بْنِ رَبَاحٍ ص ٦٢-٦٣.
٣٠- شِعْرُ الأحوصِ الأنْصَارِيِّ، ص ٢٦٧.
٣١- نفس الصَّفحة (الهامش).
٣٢- شِعْر نُصَيبِ بْنِ رَبَاحٍ، ص ٦٣.
٣٣- شِعْر نُصَيبِ بْنِ رَبَاحٍ، ص ٦٤.
٣٤- عُيُونُ الأَخْبارِ ج٣/١٤٩.
٣٥- شِعْر نُصَيبِ بْنِ رَبَاحٍ، ص ١١٤.
٣٦- البيان والتبيين ج١/٢١٩ – ٢٢٠.
٣٧- ديوانه ص ٣١١.
٣٨- ديوانه ط دار صادر ص ٨٨ – ٨٩.
٣٩- عُيونُ الأخبارِ ج٣/١٤٦.

٤٠- نفس المصدر، نفس الصفحة.
٤١- شِعْر نُصَيب بْنِ رَبَاحٍ، ص ١١٢.
٤٢- شِعْر نُصَيب بْنِ رَبَاحٍ، ص ٦٤.
٤٣- محمد بنْ القاسِمِ الأنْباريُّ: كتاب الأضداد، ص ٦٦ – ٦٨.
٤٤- جلال الدين عبد الرحمن بن محمد بن عثمان السيوطي: حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ج٢/٩.
٤٥- شِعْر نُصَيب بْنِ رَبَاحٍ، ص ١١٣-١١٤
٤٦- ديوانه، ص ١٠٨.
٤٧- القاضي أبو الوليد بن رشد تلخيص كتاب أرسطوطاليس في الشعر، ص ٨٧.
٤٨- ديوانها ص ٢٧.
٤٩- أبو الفرج الأصفهاني ٣١٢/١.
٥٠- شِعْر نُصَيب بْنِ رَبَاحٍ، ص ٨٧
= أسامة بن مُنْقِذ، المنازِلُ، ص ٤٣٠.
٥١- ديوانه ص ٤٨.
٥٢- شِعْر نُصَيب بْنِ رَبَاحٍ، ص ١٣٩.
٥٣- تاريخ الخلفاء ص ١٧١ – ١٧٢.
٥٤- شِعْر نُصَيب بْنِ رَبَاحٍ، ص ٧٩.
٥٥- ديوانه ص ٢٣٥.
٥٦- شِعْر نُصَيب بْنِ رَبَاحٍ، ص ٩٠.
٥٧- شِعْر نُصَيب بْنِ رَبَاحٍ، ص ٨٧.

٥٨- تاريخ الخلفاء، ص ١٥٠.
٥٩- أمَالِي الزَّجَاجيِّ ص ٤٧ -٤٨.
٦٠- حمَّادُ بنُ الأمِينِ المجْلِسِيُّ الموريتانيُّ: تُحفَةُ الألْبَابِ فِي شرحِ الأنْسَابِ، ج١/٤٢٦-٤٢٧.
٦١- ديوانه، ج١/٢٩.
٦٢- شِعْر نُصَيبِ بْنِ رَبَاحٍ، ص ٥٩.
_ أبو العبَّاس أحمد بنُ عبدالسَّلامِ الجِرَاويُّ التَّادليُّ - الحماسة المغربية، ج١/١٩٩-٢٠٠.
٦٣- أمالي الزَّجَاجيِّ: ص ٤٨.
٦٤- أبو علي القالي - ذيل الأمالي ص ٤٠. الزجاج، الأمالي ص ٣٢ - ٣٣.
٦٥- الزمخشري أبو القاسم محمود بن عمر: المفصل
٦٦- فاكهة الخُلفاء ومفاكهة الظُّرفاء، ص ٢٨.
٦٧- البيان والتبيين ج١/٨-٨٣.
٦٨- أبو العباس أحمد بن علي القَلْقَشَنْدِيُّ، صُبْحُ الأعْشَى فِي صِنَاعَةِ الإنْشَا، ج١٤/١٧٦-١٧٧.
٦٩- الحَيَوانُ ج١/٣٣ - ٣٤.
٧٠- دَلائِلُ الأعْجَازِ ص ٥١١.
٧١- صُبحُ الأعْشَى ج٢/٣٠٢.
٧٢- البخلاء ج٢/١٧٧.
٧٣- أمالي الزَّجَاجيِّ ص ٤٨.
٧٤- خِزَانة الأدبِ ج٥/٢٩٦-٢٩٧.

٧٥- ديوانه (د.ت. ط) ص ٣٧.
٧٦- أبو إسحق إبراهيم بن عَلِيٍّ الخصريّ القيروانيّ، زهرُ الآداب وثَمَرُ الألباب، ج١/٣٣٢.
٧٧- أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب، قواعد الشعْرِ، ص ٥٤ – ٥٥.
٧٨- أبو مُحَمَّدٍ عبدُ اللهِ جَمَالُ الدِّينِ يوسُفُ بنُ أحمدَ بنِ عبد الله بن هِشام الأنْصَارِيُّ المِصرِيُّ، شرحُ شذور الذَّهب ص ٢٩ – ٣٠.
٧٩- محمد محي الدِّين عبد الحميد، منتهى الأرب ص ٣١.
٨٠- أبُو عَلِيٍّ الفارِسِيُّ الحسن بن أحمد بن عبد الغَفَّار، كتاب الشِّعْرِ، ج٢/٤٨٣-٤٨٥.
٨١- أبو هِلالٍ العسكريُّ: الأوائِلُ ج١/١٨٣-١٨٤.
٨٢- شِعْر نُصَيْبِ بْنِ رَبَاحٍ، ص ٥٩.
٨٣- أبو أحمد الحسن بن عبد الله العسكري المصون في الأدب ص ١٥٠-١٥٤.
٨٤- تاريخ الخُلَفَاء ص ١٨٦.
٨٥- شِعْر نُصَيْبِ بْنِ رَبَاحٍ، ص ٧٦.
٨٦- شِعْر نُصَيْبِ بْنِ رَبَاحٍ، ص ٧٨.
٨٧- شِعْر نُصَيْبِ بْنِ رَبَاحٍ، ص ١٢٠.
٨٨- الأغاني ج١/٣١٢-٣١٤.

المصادر والمراجع:

١- الآمدي: المُؤْتَلِفُ والمُخْتَلِفُ تح عَبْدِ الفَتَّاح أَحْمَد فرَّاج، القاهرة ١٣٨١هـ -١٩٦١م، دار إحياء الكُتُبِ العربيَّةِ عِيسى البابي الحلبي وشُركاه.

٢- : الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري تح السيد أحمد صقر ط ٤ دار المعارف ١٣٧٩هـ - ١٩٦٠م

٣- الأحوص الأنصاري شعر الأحوص الأنصاري جمعه وحققه عادل سليمان جمال قدم له شوقي ضيف الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة ط٢ ١٤١١ه - ١٩٩٠م

٤- الأصفهاني الأغاني أشرف على مراجعته وطبعه العلامة الشيخ عبد الله العلايلي، موسي سليمان، أحمد أبو سعد الناشر دار الثقافة بيروت ط٣ ١٣٨١ه _ ١٩٦٢م

٥- الأنباري محمد بن القاسم كتاب الأضداد تح محمد أبو الفضل إبراهيم ط المكتبة العصرية صيدا بيروت ١٤٠٧ه - ١٩٨٧م

٦- الأيوبي ياسين معجم الشعراء في لسان العرب ط٢ ١٩٨٧

٧- البحتري ديوانه ط دار صادر للطباعة والنشر - دار بيروت للطباعة والنشر بيروت ١٣٨١ه - ١٩٦٢م.

٨- _____: الحَمَاسَةُ الصُّغْرَى (الْوَحْشِيَّاتُ) عَلَّقَ عَلَيْهِ وَحَقَّقَهُ عَبْدُالْعَزِيْزِ الْمَيْمَنِيُّ الرَّاجَكُوتِيُّ وَزَادَ فِي حَوَاشِيْهِ مَحْمُودُ مُحَمَّد شَاكِر ط٣ دَارِ الْمَعَارِفِ.

٩- _____: قواعد الشعر تح وتقديم وتعليق رمضان عبد التواب الناشر دار المعرفة القاهرة ١٩٦٦م.

١٠- الجاحظ البيان والتبيين تح عبد السلام محمد هارون ط٢ الناشر مكتبة التأليف والترجمة والنشر.

-_____الحيوان شرح وتحقيق يحيي الشامي ط١ منشورات دار ومكتبة الهلال بيروت ١٩٨٦م.

١٢-_____البخلاء ضبطه وصححه أحمد العوامري بك علي الجارم بك – منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

١٣- الجراوي التادلي أبو العباس أحمد بن عبد السلام الحماسة المغربية مختصر كتاب صفوة الأدب ونخبة ديوان العرب تح محمد رضوان الداية ط ١ دار الفكر المعاصر بيروت – دار الفكر دمشق سوريا ١٤١١ه – ١٩٩١م

١٤- الجرجاني: عبد القاهر الجرجاني دلائل الإعجاز قرأه وعلق عليه أبو فهر محمود محمد شاكر

١٥- الجمحي محمد بن سلام _ طبقات فحول الشعراء ط دار المدني بجدة

١٦- ابن جني أبو الفتح عثمان بن جني الخصائص ط المكتبة العلمية ١٣٧١هـ _ ١٩٥٢م.

١٧- حسان بن ثابت الأنصاري ديوانه تح سيد حنفي حسنين ط١ دار المعارف

١٨- ابن حجة الحموي خزانة الأدب وغاية الأرب شرح عصام شعيتو منشورات دار ومكتبة الهلال بيروت لبنان ١٩٨٧م

١٩- الخنساء تماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد ديوانها اعتنى به وشرحه حمدو طمّاس ط٢ دار المعرفة بيروت لبنان ١٤٢٥هـ -٢٠٠٤م

٢٠- الدماميني بدر الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر العيون الغامزة على خبايا الرامزة تح الحساني حسن عبد الله الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة ط٢ ١٤١٥هـ -١٩٩٤م.

٢١- الذهبي _ سير أعلام النبلاء شرح شعيب الأرنؤوط ط ٧ مؤسسة الرسالة بيروت ١٤١٠ه _ ١٩٩٠م.
٢٢- القاضي أبو الوليد: ابن رشد تلخيص كتاب أرسطو طاليس في الشعر ترجمه عن اليونانية وشرحه وحقق نصوصه عبد الرحمن بدوي ملتزمة الطبع والنشر مكتبة النهضة المصرية لأصحابها ملتزمة الطبع والنشر مكتبة النهضة المصرية لأصحابها حسن ويوسف محمد وإخوتهما٩ شارع عدل با بالقاهرة ١٩٥٣.
٢٣- الزجاج أبو القاسم عبد الرحمن بن القاسم الأمالي في المشكلات القرآنية والحكم والأحاديث النبوية ط دار الكتاب العربي بيروت لبنان.
٢٤- الزجاجيُّ أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجيّ: أمالي الزجاجيُّ تح عبد السلام هارون ط٢ دار الجيل بيروت ١٤٠٧هـ -١٩٨٧م.
٢٥- الزركلي _ الإعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ط ١٤ دار العلم للملايين بيروت لبنان ١٩٩٩م.
٢٦- الزمخشري أبو القاسم محمود بن عمر المفصل في علم العربية ط١ دار الجيل تح سعيد محمود عُقيل ٢٠٠٣م - ١٤٢٤هـ.
٢٧-زهير بن أبي سلمى ديوانه ط دار صادر.
٢٨- السيوطي المزهر في علوم اللغة وآدابها شرحه وضبطه وصححه محمد أحمد جاد المولي - علي محمد البجاوي - محمد أبو الفضل إبراهيم ط دار الجيل بيروت.
٢٩- _____: تاريخ الخلفاء ط دار المنار ٩ شارع الباب الأخضر ميدان الحسين.

٣٠- ـــــــــــ: حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة وضع حواشيه خليل المنصور منشورات محمد علي بيضون ط دار الكتب العلمية بيروت لبنان ١٤١٨ه -١٩٩٧م.

٣١-ابن عربشاه فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء حققه وعلق عليه عبد الجابر البحيري ط١ ١٤٢١ه _ ٢٠٠١م دار الآفاق العربية القاهرة.

٣٢-العسكري (أبو أحمد الحسن بن عبد الله العسكري - المصون في الأدب تح عبد السلام محمد هارون الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة - دار الرفاعي بالرياض ط٢ ١٤٠٢ه - ١٩٨٢م مطبعة المدني المؤسسة السعودية بمصر.

٣٣-العسكري: أبو هلال العسكري الأوائل تح وليد قصاب - محمد المصري ط دار العلوم للطباعة والنشر.

٣٤-الفارسي: أبو علي الفارسي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار كتاب الشعر أو الأبيات المشكلة الإعراب تح محمود محمد الطناحي الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة ط١ ١٤٠٨ه - ١٩٨٨م.

٣٥-الفرزدق همام بن غالب ديوانه تح كرم البستاني ط دار صادر للطباعة والنشر بيروت.

٣٦-ـــــــــــ: ذيل الأمالي ط١ دار الكتب العلمية بيروت لبنان ١٤١٦هـ _ ١٩٩٦م.

٣٧-ـــــــــــعيون الأخبار نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب.

٣٨-القلقشندي: أبو العباس أحمد بن علي. صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ط مركز تحقيق التراث ١٤٠٥ه - ١٩٨٥م.

٣٩-القيرواني: الحصري القيرواني أبو إسحق إبراهيم بن علي زهر الآداب وثمر الألباب علي محمد البجاوي ط دار الفكر العربي.

٤٠-المتنبي أبو الطيب أحمد بن الحسين ديوانه ط٣ دار صادر بيروت ١٤٢٤ه _ ٢٠٠٣م
٤١- محي الدين محمد محي الدين عبد الحميد منتهى الأرب بتحقيق شرح شذور الذهب ط المكتبة العصرية.
٤٢- المعافي زكريا النهرواني الجريري الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي تح إحسان عباس ط١ عالم الكتب ١٤١٣ه _ ١٩٩٣م.
٤٣- الموريتاني حماد الأمين المجلسي تحفة الألباب في شرح الأنساب عني بنشره الشيخ عبد الله بن إبراهيم الأنصاري من مطبوعات إدارة إحياء التراث الإسلامي بدولة قطر ١٤٠٥ه – ١٩٨٥م.
٤٤- ابن منقذ أسامه بن منقذ المنازل والديار تح مصطفى حجازي ط القاهرة ١٤١٥ه – ١٩٩٤م
٤٥- ابن هشام أبو محمد عبد الله جمال الدين يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري المصري شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب العصرية.
٤٦- نصيب بن رباح شعر نصيب بن رباح جمع وترتيب الدكتور داوود سلوم، طبعة الارشاد بغداد ١٩٦٧م